الكـــوارث الطبيعيـــة في الأنـدلس

دكتور
رضوان البارودي
استاذ التاريخ والحضارة الاسلامية المساعد
كلية التربية ــ كفر الشيخ
جامعة طنطا

١٩٩٢



الكوارث الطبيعية فى الأندلس

شهدت بلاد الأندلس العديد من الكوارث الطبيعية أو النوازل التى كانت ذات أثر كبير على الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية بها. والمقصود بهذه النوازل تلك الظواهر الطبيعية التى لا دخل للانسان فيها ، وأدت الى حدوث المجاعات وانتشار الأوبئة والأمراض ، بالاضافة الى ما كانت تتعرض له البلاد من تدمير وخراب ، مثـــال ذلك انحباس المطر أو المحل فى المناطق التى تعتمد عليه للزراعة ، أو هطول الأمطار بغزارة أكثر مما تحتاجه الأرض مما يؤدى الى تلف المحصولات الزراعية، أو السيول التى تجتاح ما يقابلها من منشآت مدنية كالسدود والقناطر ومايحدثه ذلك من خراب ودمار وبوار للأراضى الزراعية،أو هبوب الرياح الشديدة والعواصف التى تؤدى الى اقتلاع الاشجار، أو انتشار الجراد الذى يأتى على الأخضر واليابس ، أو حـــدوث الزلازل التى تصيب المناطق التى يقع فيها بالدمار • ولا شك أن كل تلك الكوارث الطبيعية تعد من أهم أسباب الأزمات الاقتصادية والمجاعات التى يتعرض لها الانسان فى كل زمان ومكان[1] ، لأنها تعصف بالمزروعات والحاصلات

---

(١) بدر الدين السباعى : مقدمة كتاب « اغاثة الأمة بكشف الغمة » =

وتلحق بها أكبر الضرر ، ويتبع ذلك ضعف المحصول وقلته ، وبالتالى يحدث نقص فى الغذاء بل وندرته فى أحيان كثيرة[٣] • وسوف أحاول خلال الصفحات القادمة تفصيل هـذه الظواهر الطبيعية فى الأندلس وتوضيح الآثار التى ترتبت على بعض منها :

١ ــ انحباس المطر وندرته :

تمتاز بلاد الأندلس بتوافر مياه الأمطار فى العديد من أنحائها ، وبصفة خاصة فى فصل الشتاء ، لأنها تقع فى الركن الجنوبى الغربى من القارة الأروبية ، فهى تطل على البحر المتوسط والمحيط الأطلنطى شرقا وغربا وجنوبا ، أما شمالا فهى تطل على خليج بسكاى ، أى أنها محاطة من معظم جهاتها بالبحار ، ولذلك تتعرض شبه الجزيرة الأيبيرية لتيارات بحرية باردة محملة ببخار الماء الذى يسقط عليها فى صورة أمطار غزيرة فى فصل الشتاء ، ولذلك اشتهرت بلاد الأندلس بثروتها الغابية والنباتية بالاضـافة الى تنوع محصولاتها الزراعية نتيجة لوفرة المياه اللازمة للزراعة والرى • وتعتمد الزراعة فى الأندلس على مياه الأمطار بصفة أساسية ، بالاضافة الى الأنهار والعيون والآبار • ومع ذلك فان المصادر التاريخية تتضمن ما يشير الى أن بلاد الأندلس كثيرا ما تعرضت لفترات

= لتقى الدين احمد بن على المقريزى . دار ابن الوليد للطباعة ، ص ك . وبالطبع لم تكن الكوارث الطبيعية وحدها سببا للمجاعات والشدائد ، ولكن هناك عدة أسباب من صنع الانسـان مثل احتكار القوت وتلاعب المحتكرين بالاضافة الى الاضطرابات السياسية والفتن والحروب .

(٢) حامد زيان : الأزمات الاقتصـادية والأوبئـة فى عصر سلاطين المماليك . القاهرة ، ص ١٣ .

من الجفـاف والقحط بسبب انقطـاع المطر ، وقد أدى ذلك فى معظم الأحيان الى حدوث مجاعات بها . وقد أشـار المقرى[٣] فى كتابه نفح الطيب الى تعرض الأندلس الى القحط والمجاعة حتى قبل فتح المسلمين لها ، فيقول : « ثم أخذهم الله بذنوبهم (يقصد أهل الأندلس القدامى)، فحبس المطر عنهم ، ووالى القحط عليهم ، وأعطش بلادهم حتى نضبت مياهها ، وغارت عيونها ، ويبست أنهارها ، وبادت أشجارها فهلك أكثرهم، وفر من قدر على الفرار منهم ، فأقفرت الأندلس منهم ، وبقيت خالية فيما يزعمون مائة سنة وبضع عشرة سنة » .

ويعد المحل الذى تعرضت له بلاد الأندلس من عام ١٣١هـ/٧٤٨م وحتى عام ١٣٦هـ/٧٥٣م بسبب احتباس المطر ، أول الكوارث الطبيعية التى تعرض لها المسلمون فى الأندلس ، فقد نتج عن عدم نزول الأمطار تعرض البلاد لحالة من الجفاف الشديد ، وندر وجود الغذاء والحبوب لعدم زراعتها ، كما ترتب على هذا المحل مجاعة وقحط شديدين اجتاحا الأندلس ، وبلغ من شدة هذا المحل أن كثيرا من أهل الأندلس تركوا ديارهم ونزحوا الى بلاد العدوة المغربية . وقد أطلق الأندلسيون على السنوات الخمس التى استغرقها هذا المحل أسم « سنى برباط »[٤] ،

---

(٣) المقرى : نفح الطيبمن غصن أندلس الرطيب . تحقيق احسان عباس . بيروت ١٩٦٨ جا ص ١٣٣ .

(٤) مؤلف مجهول : اخبار مجموعة فى فتح الاندلس وذكر امرائها ، نشر لافوينتى ألكنترا ، مدريد . ١٨٦٧ ، ص ٦١ — ابن عذارى : البيان المغرب فى أخبار الأندلس والمغرب . تحقيق ليفى بروفنسال وكولان . بيروت ١٩٨٠، ج٢ ص ٣٨ .

لأن الأندلسيين هاجــروا الى المغرب عن طريق وادى برباط بجنــوب الأندلس ، وقد أشار صاحب كتاب « أخبار مجموعة فى فتح الأندلس » الى ذلك بقــوله : « واشتد الجوع ، فخرج أهل الأندلس الى طنجة وأصيلا وريف البربر ممتارين ومرتحلين ، وكانت أجازتهم من وادى بكورة شذونة يقال له وادى برباط ، فتلك السنون تسمى سنى برباط ، فخف سكان الأندلس ، وكاد أن يغلب عليهم العــدو ، الا أن الجوع شملهم»[٥]. أما الجغرافى الأندلسى أبو عبيد البكرى فقد ذكر أن أقواما من أهل مدينة قلسانة (و قلشانة) قد نزحوا من مدينتهم نتيجة لهذا المحل ونزلوا بمدينة سبتة على العدوة المغربية « فاشتروا من البربر وبنوا فيها واستوطنوا»[٦]. كما أشار بعض المؤرخين المشارقة الى أخبار هذا المحل فى كتاباتهم ، فابن الأثير يقول : « ثم توالى القحط على الأندلس، وجلا أهلها عنها وتعضعضعت الى سنة ستة وثلاثين ومائة »[٧] . وعلى الرغم من ذلك ، فلم يكن انقطاع المطر خلال السنوات الخمس متواصلا، بل تخللها فترات سقطت فيها أمطار ، بيد أنها لم تكن كافية لعودة الحياة الزراعية بالأندلس الى ما كانت عليه ، يقول ابن عذارى : « وفى سنة ١٣١ أمحلت الأندلس ، وعم المحل وتمادى الى سنة ١٣٦ . وذلك سنة محل

---

(٥) مؤلف مجهول : اخبار مجموعة ص ٦٢ .

(٦) البكرى : المغرب فى ذكر بلاد افريقيــة والمغرب . نشر البارون دى سلاين . الجزائر ١٩١١ ص ١٠٤ .

(٧) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ . طبعة دار صــادر — بيروت ، ج ٥ ص ٤٩٢ .

وسنة غيث ، واتصل المحل الشديد سنة أو اثنتين ثم سقى الناس سنة ١٣٣ وعادة الى بعض الصلاح »[٨] • ويبـــدو أن اضطراب الأحوال السياسية فى بلاد الأندلس فى ذلك الوقت قد ســاهم بشكل واضح فى استمرار هذا المحل ، فقد هاجر عدد كبير من البربر من المناطق الشمالية عقب ثورتهم التى قاموا بها عام ١٢٤هـ/٧٤١م تضامنا مع اخوانهم بربر المغرب فى ثوراتهم ضد السيادة العربية ، كما أن النزاع المتواصل بين العصبيتين العربيتين القيسية واليمنيـــة أضر بالأوضـــاع الاجتماعية والاقتصادية ، فزادت الأحوال سوءا • وبالاضافة الى ذلك ، انتهز أهل جليقية فرصـــة اضطراب الأحوال فى الأندلس وعدم قدرة أهلها على الحرب نتيجة للقحط والمجاعة ، وثاروا ضد المسلمين تحت قيادة زعيمهم « بلاى » الذى تمكن من اخـــراج المسلمين من جليقية كها واستورقة وغيرها[٩] •

وقد ترتب على محل سنى برباط انتشار الأمراض والأوبئة وكثرة الوفيات ، ويشير ابن عذارى الى ذلك بقوله « ثم أتبع الله الأندلس بعد ذلك بالوباء والموت فى السنة الثانيـــة (١٣٢هـ) حتى كاد الخلق ينقرض منها »[١٠] • ولم ينج من هذا القحط الذى عم بلاد الأندلس سوى مدينة سرقسطة حاضرة الثغر الأعلى ، فقد كان أهل هذا الأقليم أمثل حالا

---

(٨) ابن عذارى : البيان المغرب جـ ٢ ص ٣٨ •

(٩) مؤلف مجهول : اخبـــار مجموعة ص ٦١ — ٦٢ — ابن عذارى : المصدر السابق جـ ٢ ص ٣٨ •

(١٠) ابن عذارى : نفس المصدر جـ ٢ ص ٣٧ •

بمزارعه وخيراته الوفيرة[11] .

ويبدو أن استقرار الأحوال السياسية فى الأندلس عقب قيـام الدولة الأموية على يد عبد الرحمن بن معاوية (الداخل) وتمكنه من القضاء على كافة معارضيه ومثيرى الشغب والفتن ونشر الأمن فى ربوع الأندلس ، قد ساعد على زوال اثار هذا المحل ، كما أن السماء لم تلبث أن جادت بغيثها ، فانتعشت أحوال الناس فترة من الزمن . ولكن ذلك لم يحل دون تعرض الأندلس من جـديد للعديد من سـنوات القحط والمجاعة بسبب توقف سقوط المطر وانحباسه . ففى عام ١٩٩هـ/٨١٤م عم الأندلس قحط ومجاعـة كبرى مـات على اثرها « أكثـر الخلق جهدا »[12] . ويشير المقرى الى أن الحكم بن هشام المعروف بالربضى كان يكثر من مواساة أهل الحاجات أيام هذه الشـدة ، ويشيد الشاعر عباس بن ناصح الجزيرى[13] بما قدمه الحكم من أفضال ومساعدات للمتضررين فى قوله :

---

(١١) مؤلف مجهول المصـدر السابق ص ٦٢ — عبد العزيز سالم : تاريخ المسلمين واثارهم فى الأندلس . الاسكندرية ، ص ١٦٥ .

(١٢) ابن عذارى : البيان المغرب جـ ٢ ص ٧٣ ، فى حين يذكر المقرى أن هذا القحط وقع عام ١٩٧هـ اى قبل عامين من التاريخ الذى حدده ابن عذارى . (راجع : نفح الطيب جـ ١ ص ٣٤١) .

(١٣) شاعر أندلسى من أهل الجزيرة الخضراء رحل عدة مرات الى المشرق ، له شعر كثير فى مدح الحكم الربضى الذى ولاه قضـاء الجزيرة الخضراء وشذونة . انظر ترجمته فى : ابن الفرضى : تاريخ علماء الأندلس ، طبع مجريط جـ ١ ص ٢٤٥ ، ابن سعيد المغربى : المغرب فى حلى المغرب . تحقيق شوقى ضيف . القاهرة ١٩٦٤ جـ ١ ص ٣٢٤ .

نكد الزمـــان فآمنت أيامــه
مـــن أن يـــكون بعصره عسر
طلع الزمـــان بأزمـــة فجلا لـــه
تلك الكريهـــة جـــوده الغمـــر(١٤)

وفى عهد الأمير عبدالرحمن الأوسط انقطعنزول المطر فىعام ٢٠٧هـ/٨٢٢م، بالاضافة الى هجوم الجراد على الأراضى الزراعيـــة ، فأدى ذلك الى حدوث مجاعة شديدة ، ومات عدد كبير من أهل الأندلس(١٥) • وحاول الأمير عبد الرحمن الأوسط التخفيف من آثار هذه المجاعة ، فأمر باطعام الضعفاء والمساكين من أهل الأندلس ، كما أمر باقامة صلاة الاستسقاء فى نفس العام(١٦) •

---

(١٤) المقرى : نفح الطيب . جـ ١ ص ٣٤١ •
(١٥) ابن عذارى : البيان المغرب جـ ٢ ص ٨١ •
(١٦) ابن حيان : المقتبس فى أخبار بلاد الأندلس . نشر محمود على مكى . بيروت ١٩٧٣ . ص ٩٣ ، وهناك خلاف حول اسم الأمام الذى قام بأداء هذه الصلاة ، فيفهم مما ذكره ابن حيان أنه الأمام الشهير يحيى بن يحيى الليثى ، ولكن ابن حيان يعود ويشير الى أن هناك خلافا فى العام الذى اقيمت فيه هذه الصـــلاة وفى الشخص الذى أم الأندلسيين فيها ، ويرجح الدكتور مكى أن يكون القاضى «أبو نجيح مسرور بن بشير المعافرى» هو الذى أم المسلمين فى صلاة الاستسقاء عام ٢٠٧هـ ، حيث أورد نصـــا لابن سعيد المغربى عن هذا القاضى يؤيد رأيه السالف ، فقد ذكر ابن سعيد أن هـــذا القاضى لما أمره عبد الرحمن الأوسط باقامة صلاة الاستسقاء ، استشفع بأيوب البلوطى أحـــد صلحاء قرطبة ، وألح بالدعاء حتى كثر الضجيج والبكاء ، «ولم ينصرفوا الا وأحذيتهم فى أيديهم من كثرة المطر» • راجع تعليق الدكتور مكى على ص ٩٣ من المقتبس . انظر كذلك : الخشنى : قضاة قرطبة . القاهرة ١٩٦٦ ، ص ٤٤ • ابن ســـعيد المغربى : المغرب فى حلى المغرب جـ ١ ص ١٤٦ — ١٤٧ •

وفى أيامه أيضا تعرضت بلاد الأندلس فى عام ٢٣٢هـ/٨٤٦م لقحط اخر بسبب احتباس المطر ، وقد تسبب ذلك القحط فى موت أعداد كبيرة من الماشية واحتراق اشجار الكروم[١٧] . ومما ساعد على ازدياد وحدة القحط ، هجوم الجراد على الأراضى الزراعية ، فأتى على ما بها من زروع ، وترتب على ذلك ندرة وجود الغذاء ، وارتفاع اسعاره ارتفاعا رهيبا ، اضطر أهل الأندلس الى استيراده من بلاد العدوة المغربية[١٨] . ويذكر ابن حيان هذه النائبة ويضيف اليها بأن الأمير عبد الرحمن الأوسط أمر باقامة صلاة الاستسقاء ، ولكن الفقيه العالم عبد الملك بن حبيب كتب اليه يوضح له أن نصر الخصى — أحد فتيان الأمير — منع الناس من البروز الى مصلى المصارة المتصل بقرطبة رغم أن ذلك أرفق بالناس وأحوط ، وألزمهم بأداء هذه الصلاة فى مصلى الربض[١٩] نظرا

---

(١٧) ابن حيان : المقتبس (نشر مكى) : ص ١ . ابن ابى زرع : الأنيس المطرب بروض القرطاس . نشر تورنبرج . أوبسالا . ١٨٤٣ ص ٥٩ — ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ج ٧ ص ٣٥ . والمقصود باحتراق اشجار الكروم تحول سيقانها وجذورها وأوراقها الى اللون الاسود نتيجة لعدم ريها بالمياه .

(١٨) ابن ابى زرع :المصدر السابق ص ٥٩ .

(١٩) المقصود بالمصلى فى المدن الاسلامية مساحة فسيحة من الأرض يجتمع فيها المسلمون لاداء صلاة الاستسقاء أيام الجدب والجفاف أو صلاة العيدين ، وتسمى أيضا بالشريعة . أما مصلى الربض الوارد فى المتن فهو المصلى الواقع بجوار ربض شقنده Secunda الواقع جنوبى قرطبة . وهذا المصلى أقيم فى عهد الأمير الحكم بن هشام عقب قضائه على الثورة العارمة التى اجتاحت هذا الربض عام ٢٠٢هـ ، وقد أمر الحكم بتسوية هذا الربض بالأرض ، وأقيم على انقاضه جبانة واسعة عرفت باسم « جبانة الربض » ، ثم أقيم بجوارها مصلى جديد فى العراء عرف بمصلى الربض . أما مصلى المصارة فكان يقع غربى قرطبة بجوار منية الناعورة على شاطىء نهر =

لقربهـا من داره ، ونتج عن ذلك تزاحم الناس على القنطرة المؤدية للربض ، واضطر بعضهم الى التماس وسيلة أخرى للوصول الى المصلى، فاتخذوا القوارب للعبور الى الضفة الأخرى للنهر ، فغرقت هذه القوارب نظرا لكثرة ركابها[٢٠] .

ومن أشهر المجاعات التى تعرضت لها بلاد الأندلس بسبب انقطاع الأمطار مجاعة عام ٢٦٠هـ/٨٧٤م التى وقعت فى عهد الأمير محمد بن عبد الرحمن الأوسط ، وعرفت فى المصـادر التاريخية باسم « مجاعة ستين » . وكانت بوادرها قد ظهرت منذ عام ٢٥٣هـ/٨٦٧م حينما حل الجفـاف بانقطاع المطر ، فاشتد القحط ويعبر ابن أبى زرع عن ذلك بقوله : « ... وفى سنة ثلاث وخمسين ومائتين كانت ببلاد العدوة والأندلس قحوط كثيرة عظيمة ، فنضبت الميـاة »[٢١] . واستمر الحال

= قرطبة ، ويعرف أيضا بالمصلى العتيق لأنه اول مصلى اتخذه المسلمون لوم عقب فتح قرطبة .

ليفى بروفنسال :الاسـلام فى المغرب والأندلس . ترجمة د. السيد عبد العزيز سالم ومحمـد صـلاح الدين حلمى . طبع دار نهضة مصر . القاهرة . ص ٨٢ — ٩٠ ، عبد العزيز سالم : قرطبة حاضرة الخلافة فى الأندلس ، الاسكندرية ١٩٨٤ ، جـ ١ ص ٢٠٧ . انظر كذلك :

Leopoldo Torres Balbas. Ciudades Hispanomusulmanas, Madrid, Sin Fecha, Tom. 1, pp. 259-260 ولنفس المؤلف Musalla : y Saria en Las Ciudades Hispanomusulmanas, Revista Al-Andalus, Vol. XIII, 1948, pp. 167 - 180.

(٢٠) ابن حيان : المقتبس (نشر مكى) ص ٤٦ — ٤٧ .

(٢١) الأنيس المطرب ص ٦٠ — ابن عذارى : البيـان المغرب جـ ٢ ص ١٠٠ .

كذلك فى العام التالى (٢٥٤هـ) واستولى المحل بقرطبة والأقاليم فاستسقى سليمان بن أسود[٢٢] قاضى الجماعة بقرطبة للزريعة فى ٢٤ من ذى الحجة الموافق ٢٣ من مارس فلم ينزل الغيث ، وتمادى القحط بقية شهر مارس وطوال شهر أبريل ، واعتمد الأهالى على مياه الآبار فى السقيا فنضب معينها ، فعمد الناس الى الوادى الكبير يستقون منه الى أن نزلت الأمطار[٢٣] . ولم يتوقف المحل فكان الجفاف يحل بين سنة وأخرى حتى بلغ ذروته عام ٢٦٠هـ « وكانت سنة لم يزرع فيها بالأندلس حبة ولا رفعت »[٢٤] . « وفيها أصاب الأندلس مجاعة شديدة أردفت الأعوام الجداعة[٢٥] التى توالت عليها فى عقدة الخمسين »[٢٦] ولا شك أن هذه السنوات المتتالية من القحط وانقطاع المطر وقلة الزراعة تركت

---

(٢٢) هو قاضى الجماعة بقرطبة ابو ايوب سليمان بن اسود بن سليمان الغافقى . ولى القضاء أيام الأمير محمد بن عبد الرحمن مرتين ، وهو اخر قضاته . انظر ترجمته فى : الخشنى : قضاة قرطبة ص ٧٣ — ٨٢ ، ابن سعيد : المغرب فى حلى المغرب جـ ١ ص ١٥١ — ١٥٢ — النباهى المالقى : المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا . نشر ليفى بروفنسال . طبعة دار الآفاق الجديدة . بيروت ١٩٨٣ ص ٥٦ — ٥٩ .

(٢٣) ابن حيان : المقتبس (نشر مكى) ص ٣٢٤ — ابن الاثير : الكامل جـ ٧ ص ١٩٠ .

(٢٤) ابن القوطية : تاريخ افتتاح الأندلس . نشر ابراهيم الابيارى . القاهرة ١٩٨٣ ص ١٠٠ .

(٢٥) الجداعة من الجداع وهى السنة الشديدة التى تؤخر البنات فلا ينمو وتذل الناس او من الجدع بمعنى ساء غذاؤه ويقال اجدع الوليد اى ساء غذاؤه . انظر مادة «جدع» فى لسان العرب لابن منظور طبعة دار المعارف .

(٢٦) ابن حيان : المصدر السابق ص ٣٤٣ .

اثارا سيئة على أهل الأندلس ، فقد ارتفعت أسعار الحبوب والمواد الغذائية ارتفاعا شديدا ، وعدمت الأقوات ، وأصاب البلاد وباء عظيم ما تبسببه فى هذا العام خلق كثير[٢٧] • ومما زاد الأمر سوء أن الأمير محمد بن عبد الرحمن لم يعمل من جانبه على تخفيف اثار هذه المجاعة على الرعية ، بل أمر بتحصيل ضريبة العشر التى تفرض على الأراضى التى تسقى بماء المطر ، بعد أن استشار وزراءه وأصحاب مشورته ، فوافقوه على ضرورة تحصيلها من الرعية حتى لو اضطروا الى أدائها مما يدخرونه من طعـــام أو يشترونه من أى مكان • ولكن الوليد بن غانم[٢٨] والى مدينة قرطبة اعترض على هذا الاجراء وقال للأمير محمد : « أيها الأمير ، الحق أحق أن يتبع ، وانما العشور على الغلات ، اذا وهبها الله وجب أداء فرضه فيها ، واذا اجتثت أصولها فلا زكاة على من حرمها ، وهذا عام لم يزدرع فيه بذر ، ولا استغل زرع ، فاقبل معذرة رعيتك وارجع الى ذخائرك وبيت مالك ، فانفق على جندك ورفه رعيتك تعنهم على العمارة فيما يستأنفون حتى أن يلحقوا الاقالة ، فانه الحق

(٢٧) ابن عذارى : البيـــان المغرب ج ٢ ص ١٠٢ — ابن ابى زرع : الانيس المطرب ص ٦٠ •

(٢٨) الوليد بن عبد الرحمن بن غانم : من أسرة بنى غانم التى عمل كثير من افرادها فى خدمة الأمويين فقد كان عميدهم عبد الحميد بن غانم أحد موالى عبد الرحمـــن بن معـــاوية (الداخل) . وقد ولى عبد الرحمـــن بن عبد الحميد بن غانم الوزارة والحجابة أيام الحكم بن هشام ثم لابنه الأمير عبد الرحمن الأوسط . أما الوليد فقد ولى عدة مناصب كبرى فى عهد الأمير محمد بن عبد الرحمن وكذلك فى عهد ولديه المنذر وعبدالله ومن هذه المناصب منصب صاحب المدينة . راجع : ابن القوطيـــة : تاريخ افتتـــاح الاندلس ص ٩٨ — ١٠٨ ، مؤلف مجهول : اخبار مجموعة : ص ١٤٤ — ١٤٥ — ابن

على مثلك من ولاة العدل »[٢٩] . بيد أن الأمير محمد لم يستمع الى نصيحة صاحب مدينته ، وصمم على تحصيل الضريبة من الرعية ، وقال : لا والله ، لا تقلدت تحريك حبة واحدة منه[٣٠] . وقد رفض الوليد بن غانم تنفيذ أوامر الأمير ، وطلب اعفاءه من منصبه ، فأعفاه وولى مكانه حمدون ابن بسيل المعروف بالأشهب . وكان ابن بسيل الأشهب معروفا بشدته وقسوته ، فاشتط فى جمع العشور من الناس « حتى هتك الستور وضرب الظهور وقتل الأنفس بالتعليق »[٣١] . ولم يتخلص أهل قرطبة من ظلم ابن بسيل الا بوفاته ، ولما عرض الأمير هذا المنصب على الوليد بن غانم أبى أن يتولاه من جديد بعد أن نبذ الأمير مشورته السابقة ، فأسند الأمير محمد هذا المنصب الى شخص اخر .

على أية حال لم توضح لنا المصـــادر كيفية انتهاء هـــذه الأزمة الطاحنة ، ولكن يبدو أن الأمور تحسنت أخيرا بهطول الأمطار ، ولكن ذكرى ذلك القحط ظلت راسخة فى أذهان أهل الأندلس سنين طويلة ، لدرجة أنهم كانوا يضربون بها المثل لشدتها حتى بعد مضى سنوات طويلة على وقوعها[٣٢] .

= الأبار : الحلة السيراء . نشر حسين مؤنس . القاهرة ١٩٨٥ ، جا ص ١٤١ ، ص ١٦٢ .

(٢٩) ابن حيان : المقتبس (نشر مكى) ص ١٧٢ .

(٣٠) ابن القوطية : تاريخ افتتاح الأندلس ص ١٠٠ .

(٣١) نفس المصدر السابق والصفحة — ابن حيان . نفس المصـدر ص ١٧٣ .

(٣٢) انظر تعليق الدكتـــور مكى رقم ٥٦٤ على ص ٦٢٢ من كتاب المقتبس لابن حيان .

ولم يمض وقت طويل على ذلك القحط وتلك المجاعة ، حتى اجتاح الأندلس قحط شديد عام ٢٧٤هـ/٨٨٧م فى أيام الأمير المنذر بن محمد بسبب توقف سقوط المطر • ويشير ابن عــذارى الى أنه برغم اقامة صلاة الاستسقاء عدة مرات ، الا أن السماء ضنت بغيثها ، ولم ينزل الا ثلج كبير الحجم وذلك فى بداية العام التالى ٢٧٥هـ/يناير ٨٨٨م لم تستفد منه الأراضى الزراعية ، فاستمر القحط والجدب طيلة شهر يناير المذكور وعدة أيام من فبراير حتى تسرب اليأس فى قلوب الناس، وبدا شبح المجاعة يلوح فى الأفق ،لولا أن من الله على أهل الأندلس بغيثه ، فأمطرت السماء وسقى الناس وارتفع البأس • ويعبر الشاعر العكى عن فرحته بنزول الغيث فى قصيدة يمدح بها الأمير المنذر نطالع فيها البيتين التاليين :

نزل الحيـــا المحيى وطابت أنفس
ان كان ســـوء الظن فيهـــا يهجس
أحيى الالاه عباده من بعــد مـــا
كانت من القنط النفوس توسوس(٣٣)

ولم تكد تمضى عشر سنوات على هذه المحنة التى ابتلى بها أهل الأندلس حتى حل القحط من جديد فى عام ٢٨٥هـ/٨٩٨م فى عهد الأمير عبدالله بن محمد ، واجتاحت الأندلس مجاعة شديدة « حتى أكل الناس بعضهم بعضا ، ثم أعقب ذلك وباء مدمر وموت كثير ، هلك فيه من الناس

(٣٣) ابن عذارى : البيان المغرب جـ ٢ ص ١١٩ •

ما لا يحصى ،فكان يدفن فى القبر الواحد أعداد من الناس لكثرة الموتى وقلة من يقوم بهم ، وكانوا يدفنون من غير غسيل ولا صلاة »[٣٤] . وقد أطلق الأندلسيون على عام ٢٨٥هـ « سنة لم أظن » .

وتجدد المحل فى عام ٢٩٧هـ/٩٠٩م نتيجة لاحتباس الأمطار ، ونتج عنه مجاعة كبرى مات خلالها عدد كبير من أهل الأندلس ، كما فر عدد آخر الى بلاد المغرب . وكانت منطقة جيان من أكثر المناطق تضررا بهذه المجاعة ، حتى أنهم أطلقوا على هذا العام « سنة جوع جيان »[٣٥] .

وفى بداية عهد الخليفة الأموى عبد الرحمن الناصر عم الأندلس محل شديد فى عام ٣٠٢هـ/٩١٤ ، بسبب انقطاع المطر ، وساءت حالة المزارعين ، وحاول الخليفة الناصر معالجة الأمر ، فأمر باقامة صلاة الاستسقاء ، وعلى الرغم من أن الناس أدوا هذه الصلاة خمس مرات فى أيام مختلفة ، الا أن السماء لم تجد بغيثها ، مما أدى الى اختفاء القمح من الاسواق ، كما ارتفعت اسعار المواد الغذائية ارتفاعا شديدا ، واضطر الناصر أن يأمر الفقيه أحمد بن زياد بأن يصلى بالناس مرة أخرى للاستسقاء ، فصلى بهم يوم الاثنين لثلاث عشرة خلت من شوال ، فاستجاب الله لصلاتهم هذه المرة « فنزل رذاذ صالح وندى مبلل تمسك به بعض الزرع ، وذهب الأكثر باستيلاء اليبس عليه ،

---

(٣٤) ابن أبى زرع : الانيس المطرب ص ٦٠ .

(٣٥) ابن حيان : المقتبس (نشر اسماعيل العربى) . الدار البيضاء ١٩٩٠ ص ١٦٨ .

فصرحت السنة عن ذاتهـا ، واعتدى القحط شـاملا بالأندلس كلها وثغورها ، فغلت الأسعار فى جميع جهاتها»[٣٦] «واستمر القحط والجفاف والمجاعة يستشرى فى بلاد الأندلس حتى بلغ ذروته فى العام التالى (٣٠٣هـ) فشبهه أهل الأندلس بما تعرضوا له فى « مجاعة ستين » ، ويصور المؤرخ الأندلسى ابن حيان القرطبى هذا القحط تصويرا محزنا فيقول : « فيها (سنة ٣٠٣هـ) كانت المجاعة بالأندلس التى شبهت بمجاعة سنة ستين ، فاشتد الغلاء وبلغت الحاجة والفاقة بالناس مبلغا لم يكن لهم عهد بمثلها ، وبلغ قفيز القمح بكيل سوق قرطبة ثلاثة دنانير دخل أربعين[٣٧] ، ووقع الوباء فى الناس ، فكثر الموتان فى أهل الفاقة والحاجة حتى عجز عن دفنهم »[٣٨] . ولم يقتصر أثر هذا القحط على ذلك ، فقد تعذر على الناصر تجهيز الجيوش بالمؤن والأقوات للغزو ، نظرا للضعف الذى أصاب الناس ، كذلك فقدت قرطبة عددا من فقهائها

---

(٣٦) ابن حيان : المقتبس (نشر بدور شالميتا واخرون) قطعة خاصة بعدة سنوات عن عصر الخليفة الناصر . مدريد ١٩٧٩ ص ١٠٣ — ١٠٤ ، ابن عذارى : البيان المغرب : جـ ٢ ص ١٦٦ .

(٣٧) ناقش المستشرق الأسبانى بدور شالميتا هذه العبارة مناقشـة مستفيضة وخلص الى ان دينار قرطبة الذهبى كان يعادل فى هـذه الفترة اربعين درهما . راجع التعليق رقم ٢ ص ١٠٩ من كتاب المقتبس لابن حيان (نشر شالميتا) .

(٣٨) ابن حيـان : نفس المصدر السابق ص ١٠٩ — ابن عذارى : البيان المغرب جـ ٢ ص ١٦٧ — ١٦٨ — ابن أبى زرع : الانيس المطرب : ص ٦١ .

وعلمائها من جراء هذه الشدة . وقد حاول الخليفة الناصر معالجة هذه الأزمة الطاحنة والتخفيف من الآثار الناجمة عنها ، فأخذ يوزع الصدقات على الفقراء والمساكين ، فاقتدى كبار رجال دولته بفعله ، وأقبلوا على توزيع الأموال والمواد الغذائية على المحتاجين ، ويشير ابن حيان الى أن بدر بن أحمد حاجب الخليفة الناصر كان من أكثر الناس صـــدقة وأعظمهم مواساة للناس(٣٩) . كما اتخذ الخليفة الناصر اجراء آخر كان له أكبر الأثر فى الحد من تفاقم الأزمة ، فقد ضرب بشدة على أيدى المفسدين وقطاع الطرق وبعض الثائرين عليه ، لأنهم كانوا يهاجمون قوافل تجار المسلمين الذين يجلبون المواد الغذائية من خارج الأندلس لمواجهة هذه المجاعة ، ويعلق ابن حيـــان على هـــذا الاجراء بقوله : « ... ونفع الله بذلك كله الكافة »(٤٠) .

ولم يمض أحد عشر عاما على هذا القحط ، حتى أصيبت الأندلس بمحل جديد فى عام ٣١٤هـ/٩٢٦م ، حيث غلت أسعار الحبوب والميرة ، وأقيمت صلاة الاستسقاء مرارا بامامة أحمد بن يحيى صاحب الصلاة بقرطبة ، كما أرسل الناصر الكتب الى حكام الكور الولايات يدعوهم الى أداء صلاة الاستسقاء فى كورهم وولاياتهم ، وكان لذلك أثر كبير فى نزول الأمطار بقرطبة وعدة أنحاء بالأندلس . وقد تصادف نزول المطر بقرطبة

---

(٣٩) ابن حيان : نفس المصـــدر والصفحة — ابن عذارى : المصـــدر السابق ج ٢ ص ١٦٨ .

(٤٠) ابن حيـــان : نفس المصـــدر والصفحة — ابن عذارى : نفس المصدر السابق والصفحة .

فى نفس اليوم الذى صلب فيه سليمان بن عمر بن حفصون الثائر على الخليفة الناصر على باب السدة (أحد أبواب قرطبة) ، فكان لتوافق الحدثين رنة فرح لدى أهل الأندلس ، وتغنى الشعراء بهذه المناسبة ، ومن ذلك قول أحدهم :

سحاب يمـــور الغيث منها وديمه
دمـــاء العـــدى تهمى به وتمـــور
غياثان فينـــا واكفان من الحيـــا
ولكن ذا رجس وذاك طهـــور
وذاك نجيـــع ليس يقبـــله الثرى
وذا ناجـــع يسرى بـــه ويغـــور
تدنست الدنيـــا بـــه فتطهـــرت
بطون لها من رجســـة وظهور(٤١)

ولم يهنأ أهل الأندلس طويلا بزوال هذا القحط عنهم ، حتى دهمهم محل جديد عام ٣١٧هـ/٩٢٩م نتيجة احتباس المطر ، ففســـد الزرع ، وغلت الاسعار بدرجة كبيرة ، واضطر الناصر الى دعوة الناس لاقامة صلاة الاستسقاء بجامع قرطبة عقب صلاة الجمعة ، ولما لم ينزل المطر، اقيمت الصـــلاة مرة أخرى يـــوم الاثنين الذى يليه بمصلى الربض (٨ صفر/٢٣ مارس) ، ولما استمر انقطاع المطر وانحباسه ، وظل

---

(٤١) ابن حيان : نفس المصدر ص ٢٠٥ — ٢٠٦ ، ص ٢٠٨ — ابن عذارى : نفس المصدر جـ ٢ ص ١٩٢ .

الناس يقاســون القحط والمجاعة ، كتب الناصر الى جميع عماله بأن يأمروا الخطباء باقامة صلاة الاستسقاء عقب صــلاة الجمعة لمــدة اسبوعين ، فاذا أبطأت السقيا فعليهم البروز يوم الاثنين ، وهكذا حتى يأتى الله بغيثه(٤٢) • أما فى قرطبة فقد تعددت صلوات الاستسقاء، وكانت تقام أحيانا بمصلى الربض وأحيانا أخرى بمصلى المصارة(٤٣) • ولم ينقطع هذا المحل الا بنزول الأمطار حيث ارتوت الأرض وتمكن المزارعون من زراعتها •

ويبدو أن توالى أعوام القحط والمجاعات على بلاد الأندلس فى فترات متقاربة دفع الناصر الى اتخاذ بعض الاجراءات الكفيلة لمواجهة ما قد تتعرض له البلاد من أزمات • ومن هذه الاجراءات خزن الحبوب والمؤن فى الأهراء السلطانيــة فى السنوات التى تجــود فيها السماء بغيثها • وقد أثمرت هذه الاجراءات حينما حل المحل من جديد فى عام ٣٢٤هـ/٩٣٥م • وكان محلا لم يعهد أهل الأندلس مثيلا له من قبل ، ولم يسمعوا قط بمثله ، لاتصاله ، فقد ضنت السماء بوبلها « فلم تنض قطرة ولا بلت مدرة » • ومع ذلك فان اسعار الحبوب أو المواد الغذائية لم ترتفع ، ولم تتبدل أحوال الناس نظرا لتوفر الغذاء فى الاسواق ،

---

(٤٢) ابن حيان : المصدر السابق ص ٢٥٠ — ٢٥١ . ولأهمية كتاب الناصر لعماله ، رأينا أن نورده فى نهاية هذا البحث كضميمة .

(٤٣) ابن حيان : المصدر السابق ص ٢٥٢ — ابن عذارى : البيان المغرب جـ ٢ ص ١٩٩ •

ثم أزيلت الغمة بنزول الغيث فى العام التالى ، فارتوت الأرض وانتعشت أحوال الرعية ، وكانت مناسبة للشعراء أكثروا فيها من مدح الخليفة الناصر(٤٤) .

ولم يكن المحل السابق آخر ما أصاب الأندلس فى عصر الخليفة الناصر ، فقد داهم قرطبة محل آخر عام ٣٣٣هـ/٩٤٤م عندما توقف نزول الغيث ، ولم يتمكن المزارعون من زراعة أراضيهم ، واضطر قاضى الجماعة بقرطبة وصاحب الصلاة بها الى الاستسقاء عقب صلاة الجمعة يوم الثانى من ربيع الآخر (٧ يناير ٩٤٥م) ، ثم تكررت الصلاة فى الجمعة التالية ، ولما لم ينزل المطر ، دعا الناس الى البروز للاستسقاء، فصلى الناس ثلاث مرات بمصلى الربض(٤٥) ، وثلاث مرات أخرى بمصلى المصارة(٤٦) . وعلى الرغم من تعدد صلوات الاستسقاء بقرطبة، فلم تسقط الأمطار ، وانما سقط ثلج ، كسا الأراضى الزراعية ، واضطر

---

(٤٤) من ذلك قول الشاعر عبيد الله بن يحيى بن أدريس :

نعـــم الشفيع الى الرحمن فى المطـــر
مستنزل الغيث بالاعـــذار والنـــذر

راجع : ابن حيان : المصدر السابق ص ٣٨٣ — ٣٨٤ .

(٤٥) المرة الاولى كانت يوم الثلاثاء ٢٠ ربيع الاخر/١٢ يناير ، والثانية يوم الاثنين ٢٥ ربيع الآخر/١٧ يناير ، والثالثة يوم الخميس ٢٩ ربيع الاخر/ ٢١ يناير .

(٤٦) المرة الأولى كانت يوم السبت ٢ جمادى الاول/٢٣ يناير والثانية يوم الثلاثاء ٥ جمادى الاول ٢٦ يناير والثالثة يوم الثلاثاء ١٢ جمادى الاول/ ٢ فبراير .

القاضى محمد بن عبدالله بن عيسى الى معاودة الاستسقاء حتى من الله على أهل قرطبة بالمطر فرويت الأرض ورخصت الاسـعار ، وتخلص القرطبيون من هذا المحل[47] . ولكن فى العام التالى لانقضاء هذا المحل — وهو عام ٣٤٤هـ — دأهم الاندلس وباء عظيم أودى بحياة العديد من سكان الاندلس ، وبلغ من قوة هذا الوباء أن بلاد العدوة المغربية تأثرت به ومات عدد كبير من سكانها[48] .

وفى أواخر أيام الناصر احتبس المطر فترة من الوقت ، فخشى الناس تكرار أيام المحل ، فاستدعى الناصر القاضى منـذر بن سعيد البلوطى[49] ، وأمر بالبروز للاستسقاء ، فاجتمع له الناس فى مصلى الربض حتى غصت بهم ساحة المصلى ، فى حين شاهد الناصر الاستسقاء من أعلى قصره ، فلم ينقض النهار الا وانهمر المطر ، فسقى الناس ، وشكروا الله[50] .

وفى عهد الخليفة الحكم المستنصر (٣٥٠ — ٣٦٦هـ/٩٦١ — ٩٧٦م)

---

(٤٧) ابن حيان : المقتبس (نشر شالميتا) ص ٤٧٦ — ٤٧٨ — وان كان ابن عذارى يذكر ان هذا المحل كان عام ٣٣٥هـ . البيان المغرب ج ٢ ص ٢١٤ .

(٤٨) ابن أبى زرع : الأنيس المطرب ص ٦٢ .

(٤٩) حول هذا القاضى ومواقفه من الخليفة الناصر راجع : النباهى : المرقبة العليا ص ٦٦ — ٧٥ — المقرى : نفح الطيب : ج ١ ص ٥٧٠ — ٥٧٧ .

(٥٠) ابن غالب : فرحة الأنفس ص ٣٦ — النباهى المالقى : المصدر السابق ص ٧٠ — ٧١ .

تعرضت الأندلس أيضا للقحط والمجاعة بسبب قلة ما تساقط من الأمطار اللازمة للرى والزراعة ، ففى عام ٣٥٣هـ/٩٦٤م حدثت مجاعة كبيرة بقرطبة ، تكفل الحكم المستنصر خلالها بالانفاق على الضعفاء والمساكين من أهلها ، ويذكر ابن عذارى أن الحكم « أجرى نفقاته عليهم بكل ربض من أرباض قرطبة والزهراء ، واستمرت هذه المجاعة حتى العام التالى حينما نزل الغيث ، فرويت الأرض وطاب الحرث وسرت النفوس »(٥١) .

كذلك تعرضت الأندلس لمحل جديد فى عهد الخليفة هشام بن الحكم وحاجبه المنصور بن أبى عامر ، ويشير المؤرخون أنه كان أكثر ضررا من سابقيه ، وبدأ هذا المحل عام ٣٧٨هـ/٩٨٨م حينما انقطع نزول المطر ، واستمر لمدة ثلاث سنوات . ويروى النباهى المالقى أن المنصور بن أبى عامر لما اشتد المحل،أمر القاضى أبا بكر يحيى بن محمد بن بقى بن زرب(٥٢) باقامة صلاة الاستسقاء ، فصلى ابن زرب بالناس عشر مرات ولم ينزل المطر ، كما حضر المنصور الصلاة فى احدى المرات ، وأظهر من الخشوع والخضوع ما آثار انتباه القرطبيين ، ثم أمر المنصور بتوزيع الصدقات من مال وطعام على المحتاجين والمساكين عن نفسه وعن خليفته ، بيد أن القرطبيين — بما عرف عنهم من تقلب وقلق شديدين — ثاروا ضد

---

(٥١) ابن عذارى : البيان المغرب جـ ٢ ص ٢٣٦ .

(٥٢) راجع ترجمة هذا القاضى فى : النباهى المالقى : المصدر السابق ص ٧٧ — ٨٠ — ابن سعيد : المغرب فى حلى المغرب جـ ١ ص ١٦١ نقلا عن ابن حيان الذى ذم هذا القاضى ذما شديدا .

القاضى ابن زرب ، وأخذوا فى ذمه لتأخر نزول المطر ، وعندما أراد القاضى للخروج لمصلى الربض للاستسقاء مرة أخـــرى ، هاجوا عليه وأخذوا فى سبه وسخروا منه وقالوا له : « بئس الوسيلة أنت الى الله تعالى والشفيع فى ارســـال الرحمـــة ، اذ أصبحت امام الدين وقيم الشريعـــة » • وهم القرطبيـــون بضربه ، فهرب منهم واختفى بمقبرة الربض ، ولم ينقذه من نقمة الجماهير الثائرة الا صاحب المدينة الذى بعث بفرقة من الفرسان والشرطة حيث استطاعوا تفريق الثائرين ، وانقاذ القاضى ابن زرب • ولما برز القاضى مرة أخرى للاستسقاء ، أرسل المنصور بن أبى عامر خيلا كثيرة أحاطت بجوانب الربض ، فلم يجسر أحد من العامة على عمل شىء يمكن أن يلحق الاساءة بالقاضى المذكور[٥٣] • ولم ينته هذا المحل الا عام ٣٨١هـ/٩٩١م عندما هطلت الأمطار ، فرخصت الاسعار وعادت الأمور الى طبيعتها[٥٤] •

ولا شك ن المنصور بن أبى عامر أدرك أهمية حفظ الحبوب والمؤن لمواجهة مثل تلك الأزمات ، فكان يخرج الأموال الكثيرة لشرائها وبكميات كبيرة سواءمن داخل الأندلس أو خارجها[٥٥] • ومن المعروف أن مناطق

---

(٥٣) النباهى المالقى : المرقبة العليا ص ٧٨ — ٧٩ — ابن ابى زرع : الانيس المطرب ص ٧٣ •

(٥٤) ابن الخطيب : اعمال الاعلام (نشر بروفنسال) ص ٩٩ . وقد ذكر ابن الخطيب ان المنصور بن ابى عامر فكر خلال سنى المحل أن يترك الأندلس ويرحل الى العدوة هربا من القحط الذى عم الأندلس .

(٥٥) ابن الخطيب : نفس المصدر السابق والصفحة .

سرقسطة واشبيلية وطليطلة ولورقة وبطروش كانت تشتهر بمخازنها التى تحفظ فيها الحبوب لاستخدامها فى أوقات الحروب والمجاعات(٥٦). ويبدو أن هذا الاجراء كان ذا أثر فعال فى عدم تعرض الأندلس للمجاعات فى السنوات التى تلت عصر المنصور بن أبى عامر .

وفى عصر ملوك الطوائف لم تشر المصادر الى حالات احتبس فيها المطر بسبب مجاعة أو جفاف ، ولكن العذرى ذكر أن الأبقار فى منطقة تدمير بشرق الأندلس أصابها مرض ، أسماه علة البقر ، وعلى الرغم من أن العذرى لم يحدد العام الذى وقع فيه هذا الوباء الا أنه من الثابت أنه حدث فى القرن الخامس الهجرى (١١م)(٥٧) .

أما فى عصر سيطرة المرابطين على الاندلس ، فلم نسمع الا عن حالات قليلة انعدم فيها المطر ، وبالتالى تعرضت البلاد للمحل وتدهور الثروة الزراعية والحيوانية ، فقد ذكر ابن عذارى أنه فى عام ٤٩٨هـ/ ١١٠٤م « تناهى القحط فى بلاد الأندلس والعـدوة حتى أيقن الناس بالهلاك »(٥٨) . كما تعرضت مدينة غرناطة عام ٥٢٤هـ/١١٢٩م لحالة

---

(٥٦) Imamuddin (S.M): Som aspcts of the socio-economic and culture history of Muslim in Spain, Leiden, 1965, p. 80.

وكذلك الادريسى : نزهـة المشـتاق جـ٢ ص٥٨٠ — الحمير : الروض المعطار ص ٩٣ .

(٥٧) العذرى : ترصيع الاخبار ص ٢ ، ومن المعلوم أن العذرى توفى عام ٤٧٨هـ/١٠٨٥م .

(٥٨) ابن عذارى : البيان المغرب جـ ٤ ص ٤٥ .

من الجفــاف والقحط نتيجة عدم سقوط الأمطــار[٥٩] • ولم توضح المصادر التى أوردت هذه الأخبار كيفية تغلب الأندلسيين على هــذا القحط ، ولا النتائج التى ترتبت عليه • كذلك تعرضت مدينة قرطبة فى عام٥٢٦هـ لمجاعة أعقبها وباء،وارتفعت الأسعار ووصل سعر المد من القمح خمسة عشر دينارا ، ولم يحرك والى المدينة ساكنا ممــا زاد الأمر سوء[٦٠] ، ويبدو أن الموقف السلبى الذى وقفه الوالى تجاه هذه الأزمة كان من ضمن الأسباب التى أدت الى عزله من منصبه وسجنه فى مدينة اشبيلية •

أما فى عصر الموحدين فلم يحل القحط والجفاف بالأندلس الا مرات معدودة ، فقد انقطع نزول المطر عام ٥٦٥هـ/١١٦٩م ، وأدى ذلك الى حالة من الجفاف ، ولكن هذا الجفاف لم يستمر طويلا ، اذ نزل الغيث بعد ذلك بمدة قصيرة ، وبالتالى كان أثر هذا القحط محدودا[٦١] • وفى أعقاب الهزيمة العسكرية القاسية التى لقيها الموحدون فى معركة العقاب

---

(٥٩) ابن الزبير : صلة الصلة . نشر ليفى بروفنسال . الرباط ١٩٣٨، ص ٢٤ ترجمة رقم ٣٢ . كمال أبو مصطفى : مصادر الثروة الاقتصادية فى الاندلس فى عصر دولتى المرابطين والموحدين ، رسالة دكتوراه غير منشورة مقدمة لكلية الآداب جامعة الاسكندرية عام ١٩٨٥ ، ص ٩٢ — ٩٣ .

(٦٠) ابن القطان : نظــم الجمان . نشر محمود على مكى . الرباط ١٩٦٤ ص ١٩٧ ، ص ١٩٩ .

(٦١) ابن صاحب الصلاة : المن بالامامة على المستضعفين . تحقيق عبد الهادى التازى ، بيروت ١٩١٤ ص ٣٩٧ .

Las Navas de Tolosa بالأندلس عام٦٠٩هـ/١٢١٢م، ابتليت الأندلس بوباء شديد راح ضحيته عدد كبير من الناس[٦٢] . كما تعرضت الأندلس لجفاف آخر فى عام ٦١٦هـ/١٢١٩م وكان أقسى من سابقه ، فقد اشتد المحل لعدم نزول المطر منذ عام ٦١٤هـ/١٢١٧م ، وأطلق الأندلسيون على عام ٦١٦هـ أسم « عام وقليل » . وفى هذه الأعوام التى اشتد فيها المحل والقحط ، ارتفعت الاسعار بصورة واضحة ، وعجز الناس عن شراء الأقوات التى ندر وجودها فى الأسواق ، ولم يحاول ولاة الموحدين بالأندلس جلب الطعام من العدوة المغربية التى تعرضت هى الأخرى للمجاعة فى نفس الوقت . ولكن الخليفة الموحدى المنتصر (٦١٠ — ٦٢٠هـ ١٢١٣ — ١٢٢٤م) قام بفتح الأهراء المعدة لاختزان الطعام ، وأمر بتوزيع ما بها على الفقراء والمساكين بلا مقابل ، أما الأثرياء والقادرون فكانوا يدفعون ثمن ما يأخذونه . ولاشـك أن هـذا التصرف من قبل الخليفة المنتصر قد ساعد على التخفيف من آثار هذه الأزمة الطاحنة التى تعرضت لها بلاد المغرب والأندلس . وانتهت هذه الأزمة فى العام التالى (٦١٧هـ) عنـدما من الله على أهل الأندلس بالمطر الذى سقى الأرض والزرع[٦٣] . وفى عام ٦٣٥هـ/١٢٣٧م ابتليت الأندلس بوباء مفرط اثناء خلافة أبى محمد عبد الواحد الملقب بالرشيد (٦٣٠ — ٦٤٠هـ/

---

(٦٢) السلاوى : الاستقصا لاخبار دول المغرب الاقصى . الدار البيضاء ١٩٥٤ جـ ٢ ص ٢٦٢ .

(٦٣) ابن عذارى : البيان المغرب (القسم الخاص بعصر الموحدين) نشر محمد ابراهيم الكتانى وآخرون . الدار البيضاء ، ١٩٨٥ ، ص ١٥٢ .

١٢٣٣ — ١٢٤٢م) • ولا شك أن هذه الأوبئة كانت تودى بحياة الكثيرين من الأندلسيين ، ومما ســـاعد على استفحالها ضعف اجراءات الوقاية الصحية فى مثل هذه الأحوال[٦٤] •

وفى عصر دولة بنى نصر (أو بنى الأحمر) فى غرناطة ، والذى يمثل آخر عهد المسلمين بالأندلس[٦٥] لم تسلم مملكة غرناطة من أنتشار الأوبئة والطواعين ، ولعل اشهر هذه الطواعين ذلك الذى سرى بالأندلس اعتبارا من عام ٧٤٨هـ/١٣٤٧م • هذا الطاعون الذى اجتاح الأندلس انتشر فى غيرها من بلاد العالم فى ذلك الوقت ، وتوفى فيه خلق كثير ، ونظرا لشدة هذا الطاعون وفتكه بالناس أطلق عليه المؤرخون اســـم الوباء الأسود أو الموت الاسود أو الطاعون الاسود • ولم تسلم منطقة فى العالم منه[٦٦] • وبالنسبة لبلاد الأندلس فقد أدى هذا الطاعون الى وفاة أعداد كبيرة من الأندلسيين من العلماء والزراع والصناع ، كما

---

(٦٤) ابن أبى زرع ، الانيس المطرب ص ١٧١ •

(٦٥) المقصود ببلاد الاندلس فى عصر دولة بنى نصر هى المساحة التى كانت تشغلها مملكة غرناطة الصغيرة وتقع فى الركن الجنوبى الشرقى من شبه الجزيرة الايبرية ، بعد ان كان لفظ الاندلس يشمل كل شبه جزيرة ايبيريا ، ولكن هذا اللفظ (اندلس) اخذ يقل من مدلوله الجغرافى شيئا فشيئا تبعا للوضع السياسى الذى كانت عليه الدولة الاسلامية فى شبه الجزيرة حتى صار يطلق فى نهاية الامر على مملكة غرناطة • راجع مختار العبادى : فى التاريخ العباسى والاندلسى • ص ٢٢٧ •

(٦٦) من مناطق العالم الاسلامى التى اصابها هذا الطاعون : مصر والشام والعراق وبلاد المغرب ، كما انتشر هـــذا الطاعون فى جزر البحر المتوسط ووصل حتى غرب أوربا •

أهلك الزرع والضرع ، وانتشرت المجاعات والأوبئة . وقد انبرت اقلام الكتاب الغرناطيين المعاصرين تصف الداء والدواء ولكن دون جدوى(٦٧). كما قام أطباء مملكة غرناطة بوضع الكثير من الرسائل المهمة حول هذا الطاعون الأسود ، ونذكر من هذه الرسائل على سبيل المثال رسـالة الطبيب والأديب الشهير ابن خاتمة الأنصارى التى أسماها « تحصيل غرض القاصد فى تفصيل المرض الوافد»(٦٨) ، ورسالة لسان الدين بن الخطيب « مقنعة السائل عن المرض الهائل »(٦٩) ، وقد اعطانا كلاهما دراسة وافية عن هذا المرض من ناحية ظهوره وأعراضـه وانتشـاره والوقاية منه ، كما وضع ابن مشتمل الأسلمى (ت ٧٦٤هـ/١٣٦٣م) من أهل المرية كتابا أسماه « أصلاح النية فى المسألة الطاعونية »(٧٠) . ولم تقتصر هذه المؤلفات على علماء غرناطة ، بل ظهر العديد منها فى بلاد المشرق أيضا التى أصابها هـذا الطاعون الاسود ، وكل هذه المؤلفات

---

(٦٧) انظر مقدمة تحقيق كتاب « نفاضة الجراب فى علالة الاغتراب » لابن الخطيب التى كتبها الدكتور مختار العبادى . ص ١٣ .

(٦٨) قام المستشرق الاسبانى ملتشور انطونيا **Melchor Antung** بنشر هذه الرسالة فى **مقال بعنوان :**

Abn Jatima de Almaria y su tratado de La peste, en relagion y cultura, oct. 1928- Madri pp; 68-90.

(٦٩) نشرها العالم الالمانى جوزيف مولر **J. Müller** مع ترجمة المانية فى مجلة اكاديمية العلوم فى بافاريا عام ١٨٦٣ .

(٧٠) راجع : ابن الخطيب : الاحاطة فى اخبار غرناطة . تحقيق محمد عبدالله عنان القاهرة . جـ ٢ ص ٣٦٤ — ٣٦٧ .

تحدثت عن هذا المرض بالتفصيل[٧١] أما عن أثر هذا الوباء الأسود على الاحوال فى مملكة غرناطة ، فلاشك أنه ادى الى اضطراب الأحوال السياسية والاقتصادية والاجتماعية بها ،فقد حدثت عـدة انقلابات سياسية فى غرناطة فى الفترة ما بين ٧٦٠هـ ، ٧٦٣هـ/١٣٥٩م — ١٣٦٢م. وعلى الرغم أن أسباب هذه الانقلابات عديدة ومتشعبة ، الا أن أحد هذه الاسباب يرجع جذوره الى وباء الطاعون أو الموت الاسود الذى أشرنا اليه[٧٢] . كذلك انقذ هذا الوباء الاسود مدينة جبل طارق من الوقوع فى يد ألفونسو الحادى عشر ملك قشتالة ، الذى كان قد حاصرها عـام ٧٥٠هـ/١٣٤٩م عقب انتصاره الهائل على القوى الاسـلامية فى معركة طريف Rio Salado عام ٧٤١هـ/١٣٤٠م وذلك لكى يتمكن من اغلاق منطقة مضيق جبل طارق فى وجه المرينين الذين يقدمون المساعدات الدائمة للمسلمين فى غرناطة . بيد أن هذا الطاعون الاسود أنتشر فى معسكر الفونسو ، ولم يلبث هو نفسه أن راح ضحية لهذا الموت الاسود فى مارس ١٣٥٠م/٧٥١هـ[٧٣] .

---

(٧١) لا يتسع المقام هنا للحديث عن هذه المؤلفات المشرقية حول هذا المرض ولكن يمكن الرجوع الى ما أورده الدكتور حامد زيان فى كتابه : الازمات الاقتصادية والاوبئة فى مصر ص ٤٣ — ٤٧ حيث أورد ثبتا بأسماء هـذه المؤلفات .

(٧٢) حول هذه الانقلابات السياسية فى غرناطة خلال هذه الفترة راجع: مختار العبادى : فترة مضطربة فى تاريخ غرناطة كما يصفها شاهد عيان . صحيفة معهد الدراسات الاسلامية . مدريد . المجلد السابع ١٩٥٩ ، العدد ١ — ٢ ص ٤٣ — ٧٣ .

(٧٣) ابن الخطيب : اعمال الاعـلام (نشر بروفنسال) ص ٣٣٥ — مختار العبادى : دراسات فى تاريخ المغرب والاندلس . الاسكندرية ١٩٦٨ ص ٤٧١ .

٢ ــ **السيول والفيضانات :**

على الرغم من أن قلة الأمطار كانت تصيب البلاد بحالة من الجفاف والقحط ، الا أن كثرتها عن الحد المعتاد كان ينتج عنه سيول تؤدى الى غرق الأراضى الزراعية والى ارتفاع منسوب المياه فى الأنهار ، وبالتالى حدوث فيضانات تسبب أضرارا عاتية • وكانت بلاد الأندلس تتميز بكثرة أنهارها التى تقع عليها العديد من المدن ، ولعل أهم أنهار الأندلس نهر تاجه Tajo ووادى آنه Guadiana والوادى الكبير Guadalquivir ووادى لكه ووادى ابره Ebro ووادى دويره Rio Duero بالاضافة الى عدد آخر من الأنهار الصغيرة التى تتفرع من هذه الأنهار الكبيرة[٧٤] • ولذلك اهتم حكام الأندلس ببناء السدود والقناطر على هذه الوديان • ويشتهر الوادى الكبير بكثرة حركة المد فيه وخاصة بناحية اشبيلية ، حيث يذكر الرازى أنه « اذا حان حمله فى أيـام المطـر أشفت اشبيلية على الغرق وتوقـع أهلها الهلاك »[٧٥] • وكان المد بهذا النهر من القوة بحيث يهدم القناطر التى تقام فوقه • ولعل أشهر القناطر التى أقيمت على هذا النهر قنطرة قرطبة • ويشير المؤرخون الى أن المسلمين عندما فتحوا مدينة قرطبة وجدوا بها آثار قنطرة فوق نهرها سقطت حناياها ومحيت أعاليها ، ولم

---

(٧٤) يذكر الزهرى أن اربعين نهرا تشق الاندلس ، ويبدو أنه يشير الى الأنهار الصغيرة التى تتفرع من الانهار الكبيرة ، أو الانهار الموسمية التى تمتلىء بالمياه فى فصل الشتاء نتيجة لنزول الامطار الغزيرة ، ومن هذه الانهار نهر بلنسيه ووادى المرية ونهر شلب . راجع : كتاب الجغرافية . تحقيق محمد حاج صادق . نشر مكتبة الثقافة الدينية . القاهرة ص ٨٠ .

(٧٥) المقرى : نفح الطيب : جـ ١ ص ٤٨٠ .

يبق منها الا أرجلها وأسافلها بفعل المد على مر الأزمان[٧٦] • وقد اهتم المسلمون بترميم هذه القنطرة لربط مدينة قرطبة بربضها القبلى ، ويجمع المؤرخون على أن ترميم هذه القنطرة تم فى عهد والى الأندلس السمح بن مالك الخولانى بأمر من لخليفة عمر بن عبد العزيز وذلك فى عام ١٠١هـ/٧١٩م[٧٧] • وتعرضت هـذه القنطرة للهدم والتخريب بسبب السيول العنيفة والمدود العديدة لنهر الوادى الكبير • وأول السيول التى اجتاحت مدينة قرطبة فى العصر الاسلامى وأثرت فى قنطرتها ذلك السيل الذى وقع فى عام ١٦١هـ/٧٧٧م ، وبلغ من شدة هذا السيل أنه سد حنايا القنطرة وهدم بعضها وزلزلها[٧٨] ، ولم يتمكن الأمير عبد الرحمن الداخل من ترميم هذه القنطرة بسبب انشغاله بمواجهة الثائرين عليه ، ولم يتم أصلاحها الا فى أيام الأمير هشام ابن عبد الرحمن الذى أنفق أموالا عظيمة على اعادة بنائها[٧٩] •

---

(٧٦) ابن عذارى : البيان المغرب جـ ٢ ص ٢٦ — المقرى : المصدر السابق جـ١ ص ٤٨٠ .

(٧٧) مؤلف مجهول : اخبار مجموعة ص ٤٤ — ابن عـذارى : نفس المصدر السابق والصفحة . عبد العزيز سالم : اضواء على مشكلة تاريخ بناء أسوار اشبيلية فى العصر الاسلامى . صحيفة المعهد المصرى للدراسات الاسلامية . مدريد ١٩٧٤ . المجلد ١٨ ص ١٣٧ .

(٧٨) ابن عذارى : المصدر السابق جـ ٢ ص ٥٦ ومن المعروف أن عدد أقواس قنطرة قرطبة بلغ سبعة عشر قوسا ، وارتفاع القنطرة على النهر بلغ ثلاثين ذراعا . راجع : الادريسى : نزهة المشتاق جـ ٢ ص ٥٧٩ .

(٧٩) ابن عذارى : المصدر السـابق جـ ٢ ص ٦٦ — ابن الخطيب :

وفى عام ١٨٢هـ/٧٩٨م اجتاح قرطبة سيل عظيم أدى الى جرف ربض القنطرة ، فلم يبق فيه دار الا هدمها ، وبلغ من قوة هذا السيل أن ربض شقندة الواقع جنوبى قرطبة تعرض لأضرار جسيمة بسبب هذا السيل[٨٠] .

ثم تعرضت بلاد الأندلس عام ٢٣٥هـ/٨٤٩م لسيل عظيم اعتبر المؤرخون من أمهات السيول ، فقد هطلت الأمطار بغزارة ، مما أدى الى أرتفاع منسوب المياه بالوادى الكبير ونهر شنيل ، وتسبب عن هذا السيل تدمير قوسين من حنايا قنطرة مدينة استجه كما أبطل عددا من أرحائها . أما فى اشبيلية فقـد أغرق هذا السيل ست عشرة قرية من قراها ، وقضى على ما بهـا من سكان وحيوانات وأمتعة . كما فلض وادى تاجه « فأذهب ثمان عشرة قرية »[٨١] . وقد أصبح هذا السيل حديث عامة الأندلس فترة طويلة نظرا لما سببه من أضرار ودمار .

وفى عام ٢٨٨هـ/٩٠١م ع وافى بنهر قرطبة سيل جارف اغتصت به حلاقيم قنطرة قرطبة وهدم بعض أرجلها[٨٢] . ثم تعرضت قرطبة

اعمال الاعلام (نشر بروفنسـال) ص ١٢٥ ، ومما يؤثر عن الامير هشام أنه رفض العبور على هذه القنطرة حينما بلغه ان الناس يقولون أنه اصلحها ليعبر عليها لصيده وقنصه . راجع . المقرى : نفح الطيب : جا ص٣٣٨ .

(٨٠) ابن عذارى : البيان المغرب جـ ٢ ص ٧٠ .

(٨١) ابن حيان : المقتبس (نشر مكى) ص ٥ — ابن الاثير : الكامل جـ ٧ ص ٥٧ — ابن عذارى : المصدر السابق جـ ٢ ص ٨٩ .

(٨٢) ابن حيان : المقتبس (نشر اسماعيل العربى) ص ١٦١ — ابن عذارى : المصدر السابق جـ ٢ ص ١٤٠ .

لسيل آخر فى عام ٢٩٦/٩٠٨م نتيجة لحركة المد بنهر قرطبة ، فأحدث أضرارا كثيرة ، كما تسبب فى تدمير القطاع القبلى لسور مدينة اشبيلية[٨٣] ، هذا السور الذى سبق أن بناه الأمير عبد الرحمن الاوسط عقب الغزوة النورماندية التى تعرضت لها اشبيلية عام ٢٣٠هـ/ ٨٤٤م[٨٤] . وقد اعتبر الأندلسيون هذا السيل من السيول الطامية شأنه شأن سيل عام ٢٣٥هـ[٨٥] .

أما فى عصر الخليفة الأموى عبد الرحمن الناصر ، فقد تعرضت قرطبة وقنطرتها لمد عنيف من نهر قرطبة عام ٣٣١هـ/٩٤٢م أدى الى هدم اجزاء من قنطرتها[٨٦] . ولم يمض أكثر من ثلاثة أعوام حتى تعرضت لسيل آخر « وبلغ الماء فى البرج المعروف ببرج الأسد ، فهدم من آخر القنطرة ، وثلم الرصيف[٨٧] . وغيره[٨٨] . وقام الخليفة الناصر باصلاح ما تهدم من القنطرة نتيجة للسيل السابق ، بيد أن هذه

---

(٨٣) عبد العزيز سالم : أضواء على مشكلة تاريخ بناء سور اشبيلية ص ١٣٨ .

(٨٤) البكرى : جغرافية أوربا والاندلس من كتاب المسالك والممالك . نشر عبد الرحمن حجى . بيروت ١٩٦٨ ص ١١٢ .

(٨٥) ابن حيان : المقتبس (نشر اسماعيل العربى) ص ١٦٦ .

(٨٦) ابن عذارى : البيان المغرب جـ ٢ ص ٢١٠ .

(٨٧) كان المسلمون يطلقون اسم الرصيف على كل الطرق المرصوفة كالطرق الرومانية ، ولقد حرص أمراء بنى أمية وخلفاؤهم على ترميم الارصفة الرومانية القديمة وخاصة فى مدينة قرطبة وبناء أرصفة اخرى جديدة مثل الرصيف الذى كان يربط بين مدينة قرطبة والزهراء وكانت ارضيته مرصوفة

القنطرة لم تلبث أن تعرضت من جديد لمــد نهر قرطبة عــام ٣٥١هـ/ ٩٦٢م[٨٩] ، أى فى بداية عهد الحكم المستنصر بن عبد الرحمن الناصر ، ولم يحاول المستنصر اصلاح قنطرة قرطبة الا عام ٣٦٠هـ ، ويوضح ابن حيان كيفية اجراء هذا الترميم ، فيذكر انه فى يوم الأربعاء الخامس من ذى القعدة (٣٦٠هـ) بدىء فى عمل سد محكم الصنعة على حافة نهر قرطبة بجوار القنطرة ، كان الغرض منه تصريف مياه النهر من هذه الجهة ، كى يتمكن العمال والمهندسون من الكشف عن دعائم القنطرة التى أثرت فيها الميــاه على مر الأزمان ، وقد استخدم عمــال البناء بقرطبــة الأشجار المجلوبة من الجبــال المحيطة بقرطبة ، والصخور والرمال والطفل لعمل هذا السد . وبعد ازالة الكسوة الجصية التى كانت تكسوا أبدان الدعائم تبين للمهندسين ضعف هذه الدعائم ، وأنه من الخطورة بمكان تركها على هذا الحــال ، ولذلك استقر رأى الخليفة المستنصر على تداركها وسرعة ترميمها[٩٠] . ولذلك شرع فى عمل سد

=

بالحجارة . والرصيف المذكور بالمتن هو الرصيف الذى كان يحف بالضفة اليمنى من نهر الوادى الكبير ويمتد من الناحية الشرقية للمدينة حتى الناحية الغربية للقصر ثم يصل الى السهل الذى يقع فيه ربض المصارة ومصلاه . راجع : عبد العزيز سالم : قرطبة جـ ١ ص ٢٠١ ــ ٢٠٢ ــ:L. T. Balbas La via Augusta y el arrecife musulman, Revista Al-Andalus,. Vol. XXIV, P. 448;

(٨٨) ابن عذارى : المصدر السابق جـ ٢ ص ٢١٣ .

(٨٩) نفس المصدر السابق جـ ٢ ص ٢٣٦ .

(٩٠) ابن حيان : المقتبس (نشر حجى) ص ٥٨ .

المنعة أسفل نهر قرطبة الى الشرق منها ، كما اقتلعت حجارة قنوات الرحى الملاصقة للرصيف بغربى قرطبة كى تحول دون وصول الماء الى هذه الدعائم المذكورة ، وقد تعطلت الأرحاء عن العمل نتيجة لذلك . وتم بناء سد المنعة يوم الخامس عشر من ذى الحجة (٩ أكتوبر ٩٧١م) . وبدأ الفعلة بعد ذلك فى تحصين تلك الأرجل وتقويتها واستخدموا توابيت الخشب الضخمة وأوتاد الحديد السميكة والصخور الصلبة ، ثم غطيت تلك الدعائم بعد تقويتها بطبقة من ملاط الكلس وصنعت باتقان شديد . ويوضح ابن حيان مدى اهتمام الخليفة الحكم المستنصر الشديد بعملية ترميم قنطرة قرطبة فيقول : « وجعل الخليفة المستنصر بالله ينتاب مكانه فى الأوقات بنفسه ، وينظر اليه بعينه ، مؤكدا على المتولين النظر فيه ، الخلفاء الاكابر ، خدمه ، ومن معهم من رؤساء كتابه ، واذا لم ينزل الى المكان ارتقى الى السطح فوق باب السده من قصر قرطبة المشرف عليه ، فكان كالشاهد له لقربه منه ، فيتملى القعود هناك متأملا للعمل مشيرا فيه برأيه مؤكدا على الفعلة فى تعجيله قبل هجوم الشتاء نظرا للناس واهتبالا بمصالحهم ، فيزكو العمل وتبدو المعونة »[91] وكان الفراغ من أعمال البناء يوم الأحد السادس والعشرين من المحرم عام ٣٦١هـ/١٨ نوفمبر ٩٧١م ، فاطمئن الخليفة على سلامة البناء ، ثم أمر بجبر الخرم الذى سبق أن بثق بسد القنطرة ليتمكن العمال من بناء الدعائم ،وانتهى الفعلة من ذلك فى صفر التالى ،

(٩١) ابن حيان : المصدر السابق ص ٦٤ — ٦٥ .

كما عادت الرحى تعمل من جديد[92] .

ولم يكد يمضى عامان على بناء هذا السد حتى تعرضت قرطبة من جديد لسيول جارفة فى شهر رجب ٣٦٣هـ/مارس — ابريل ٩٧٤م كما ارتفع منسوب المياه فى نهر قرطبة ارتفاعا كبيرا وفاضت مياهه وبلغت رصيف القصابين ، مما جعل من الصعب على السكان التنقل داخل أرجاء المدينة ، ثم أعقب ذلك نزول أمطار غزيرة فاجأت الناس وهم فى طريقهم الى المسجد الجامع ، فتزاحموا للدخول تحت أسقف الجامع مما أدى الى الحاق كثير من الأذى والضرر بهم ، ولم يتمكن غالبيتهم من أداء الصلاة[93] . وفى العام التالى استمرت السيول تهاجم مدينة قرطبة ، وفى جمادى الآخر عام ٣٦٤هـ/فبراير ٩٧٥م هطلت الأمطار بشدة عدة أيام متتالية مما أدى الى فيضان نهر الوادى الكبير، ووصلت المياه الى الرصيف الذى يلى قنطرة قرطبة والباب الجديد ، وامتنع الناس عن السير الى باب المحجة نظرا لكثرة المياه التى غمرته، ويروى ابن حيان أن قوما من أهل شبلار[94] لم يتمكنوا من السير عبره لكثرة المياه التى تجمعت هناك ، كذلك لم يتمكنوا من الوصول الى الباب الجديد (وهو الباب الشرقى) كى يعبروا منه الى ربضهم ،

---

(٩٢) نفس المصدر السابق والصفحة — عبد العزيز سالم : قرطبة جا ص١٩٩ — ٢٠٠ .

(٩٣) نفس المصدر السابق ص ١٥٤ .

(٩٤) شبلار : احد ارباض مدينة قرطبة ويقع فى القسم الشرقى منها ، وان كان ابن الخطيب قد ذكر أن اسمه فحص الناعورة. انظر ابن حيان :

واضطروا الى استئجار أحـد القوارب لنقلهم ، ولم يكد يسير بهم مسافة قصيرة حتى غشيهم موج طام قلب القارب فغرق جميع من فيه عدا الملاح(٩٥) .

كما تعرضت قرطبة لسيل شديد عام ٣٨٢هـ/٩٩٢م أحدث أضرارا مهمة فى اسواقها كما أغرقت المياه مدينة الزاهرة التى سبق أن أنشأها المنصور بن أبى عامر الى الشرق من قرطبة(٩٦) .

ثم تعرضت قرطبة لسيل آخر فى عام ٣٩٩هـ/١٠٠٨م ، بالاضافة الى مد النهر الذى أدى الى اغلاق الطرق ، ونال الناس من جراء ذلك مشقة كبرى ظلوا يذكرونها فترة طويلة(٩٧) .

وفى أثنـاء الفتنة التى اجتاحت الأندلس فى نهاية القرن الرابع الهجرى وبداية الخامس ، اجتاحت السيول الشديدة مدينة قرطبة فى عام ٤٠١هـ/١٠١٠م ، كما فاض نهر قرطبة وغمرت مياهه أرباض المدينة فهدمت نحو ألفى منزل من منازلها بالاضافة الى عدد كبير من مساجدها، ويذكر ابن عذارى أنه توفى نتيجة لهذا السيل نحو خمسة آلاف شخص

=
المقتبس (نشر الحجى) ص ٢٠٩ ، ابن الخطيب : أعمال الاعلام (نشر بروفنسال) ص ٧٨ — عبد العزيز سالم : قرطبة جا ص ١٧٩ .

(٩٥) ابن حيان : المصدر السابق ص ٢٠٩ — ٢١٠ .

(٩٦) ابن أبى زرع : الانيس المطرب ص ٧٣ .

(٩٧) ابن عذارى : البيان المغرب ج٣ ص ٤٨ .

اما ردما أو غرقا ، كما ضاعت أموال الناس وأمتعتهم • وفضلا عن ذلك فقد هدم هذا السيل جزءا كبيرا من سور قرطبة وردم خندقها • واستمر هذا السيل المدمر لمدة ثلاثة أيام متوالية • ومما زاد الأمر سوء أن البربر المنضمين الى جانب الخليفة الأموى سليمان المستعين فرضوا الحصار على قرطبـــة وقطعوا عنها المؤن والأقوات ، فترتب على ذلك ارتفاع كبير فى أسعار السلع والحبوب والمؤن • ولذلك غادر أهل قرطبة مدينتهم الى السواحل والبوادى هربا من ويلات الفتنة والسيول ، أما من أقام منهم بقرطبة ولم يتمكن من مغادرتها فقد ساءت حالتهم «حتى أكل الناس الدم من مذابح البقر والغنم وأكلوا الميتة ••• وكان قوم فى الحبس فمات منهم رجل فأكلوه »[٩٨] • وأعقب ذلك انتشار الأوبئة

---

(٩٨) المصدر السابق جـ٣ ص ١٠٦ • ومن الجدير بالذكر أن مثل هذه الاشياء قد حدثت فى مصر الاسلامية ايام الشدة العظمى فى عهد الخليفة الفاطمى المستنصر بالله (٤٢٧ — ٤٨٧هـ/١٠٣٥ — ١٠٩٤) حيث اجتاحت مصر مجاعة وقحط نتيجة لقصور النيل ، وبلغ من شدة هذه المجاعة أن أكل الناس فى مصر القطط والكلاب ، بل أكلوا بعضهم بعضا ، ويوضح المؤرخ المصرى المقريزى مدى ما وصلت اليه الامور فى مصر خلال هذه الشدة فيقول أن جماعة من الناس كانوا يجلسون فوق أسطح منازلهم ومعهم سلب وحبال فيها كلاليب ، فاذا مر بهم أحد القوها عليه ونشلوه فى أسرع وقت وشرحوا لحمه وأكلوه ، كما أن العامة من فرط جوعهم أكلوا دابة الوزير ، ومن المثير للانتباه أن بلاد الاندلس قد مدت يد المساعدة لمصر والمصريين خلال هذه الشدة برغم الاختلاف المذهبى بين حكام البلدين ، اذ تذكر المصادر أن عليا بن مجاهد العامرى صاحب دانية وجزر البليار بعث الى مصر بعدة سفن تحمل طعاما وغلالا للتخفيف من شدة هذه المجاعة. راجع • مؤلف مجهول : الحلل الموشية =

والطاعون ، واستمر الطاعون قرابة عشرين يوما مات خلاله عدد كبير من أهل قرطبة ، وذكرت كتب التراجم أن من بين من توفى فى هــذا الطاعون الفقيه أحمد بن سعيد بن الجناب بن الجســـور الأموى(٩٩) (ت ٢٦ ذو القعدة ٤٠١هـ/أول يوليو ١٠١١م) ، والفقيه المحدث عمر بن حسين بن محمد بن نايل الأموى(١٠٠) (ت ٨ ذو القعدة ٤٠١هـ/١٣ يونيو ١٠١١م) • ولا شك أن السيول وما أحدثته من خراب ودمار ، والأوبئة والطاعون وما نتج عنها من وفاة العديد من أهل قرطبة ، كان من أهم الأسباب التى دفعت الخليفة هشام المؤيد وحاجبه واضح الفتى الى طلب الصلح من منافسة على الخلافة سليمان المستعين وأنصاره من البربر •

وفى عهد دولة بنى جهور بقرطبة تعرضت المدينة لسيل جديد فى عام ٤٣٩هـ/١٠٤٧م أدى الى عطب قنطرة قرطبة ، ولم يتمكن الناس من

فى ذكر الأخبار المراكشية ص٧٦ — ٧٧ — ابن الخطيب : أعمال الاعلام (نشر بروفنسال) ص٢٢١ — ٢٢٢ — المقريزى: اغاثة الأمة ص٢٣ — ٢٥ — ابن عذارى : البيان المغرب : جـ ٣ ص ٢٢٨ — كذلك انظر : مختار العبادى: الصقالبة فى اسبانيا وعلاقتهم بحركة الشعوبية صحيفة معهد الدراســـات الاسلامية . مدريد ١٩٥٣ ص ٢٦ — عبد المنعم ماجد : ظهور خلافة الفاطميين وسقوطها . القاهرة١٩٦٨ ص٣٦٥ — ٣٣٦ — أحمـــد الطوخى : مصـــر والاندلس ، دراسة فى العلاقات السياسية والعلمية والاقتصادية والفنية . الاسكندرية ١٩٨٨ ص ٣٢ .

(٩٩) ابن بشكوال : الصلة : جـ ١ ص ٢٣ — ٢٤ — ترجمة ٣٩ .

(١٠٠) نفس المصدر السابق جـ ٢ ص ٣٩٦ ترجمة ٨٤٩ .

العبور عليها ، حتى أن أحد علماء قرطبـة وهو الفقيه عبد الرحمن بن سعيد بن جرج توفى آخر ربيع الأول ٤٣٩هـ/سبتمبر ١٠٤٧م فصلى الناس عليه بجامع قرطبة ، ثم نقل نعشـه بواسطة قارب الى مقبرة الربض[١٠١] . وفى عام ٤٨١هـ/١٠٨٨م تعرضت مدينة بلنسية فى شرق الأندلس لسيل كبير أدى الى الحاق الضرر بها ، كما هدم أحد أبراجها والمسمى برج القنطرة[١٠٢] .

أما فى عصر المرابطين بالأندلس فلم تحدث أية سيول باستثناء ذلك السيل الذى دمر جانبا من سور اشبيلية القبلى المحاذى لانحناءة الوادى ، وقام المرابطون بترميم هذه الاسوار[١٠٣] .

بيد أن السيول ومدود الأنهار لم تكن كلها شرا لأهل الأندلس ، فقد حدث فى عام ٥٣٢هـ/١١٣٧م أن خرج القشتاليون من بلادهم وعبروا الوادى الكبير وهاجموا بعض المدن الاسلامية مثل بياسه Baeza وأبده Ubeda ووصلوا الى حصن البراجلة ، ولم ينقذ المسلمون الذين بداخله سوى هطول الأمطار بصفة مستمرة مدة عشرين يوما «فمد النهر ولم تقدر الخيل المغيرة على عبوره الى محلاتهم ، وصنعوا معادى للجـواز ، فانقطع بعضها وغرق من كان فيها ، وتبعهم قائـد جيان ،

(١٠١) نفس المصدر جـ ٢ ص ٣٣٢ (ترجمة ٧٠٦) .

(١٠٢) ابن الكردبوس : تاريخ الاندلس ص ٩٨ — ٩٩ — والمقصود بالقنطرة هنا تلك التى بناها المنصور بن أبى عامر . راجـع : العذرى : ترصيع الاخبار ص ١٧ — ١٨ .

(١٠٣) عبد العزيز سالم : أضـواء على مشكلة تاريخ بناء أسـوار اشبيلية ص ١٤٣ ، ص ١٤٥ .

فأصاب منهم فوارس[١٠٤] .

وفى عصر الموحدين تعرضت مدينة اشبيلية لسيل جارف فى عام ٥٦٤هـ/١١٦٨م أدى الى تهدم جزء من سورها المواجه للوادى ، كما أغرق مساحة كبيرة من أراضيها . وقد عمل الخليفة الموحدى أبو يعقوب يوسف (٥٥٨ — ٥٨٠هـ/١١٦٣ — ١١٨٤م) على اعادة بناء سور اشبيلية من ماله الخاص « وبناه بالحصى والجيار من الأرض الى أن علاه على حاله الآن على يدى أمنائه الأخيار »[١٠٥] . كما عمل أبو يعقوب يوسف على اتقاء خطر هذه السيول مستقبلا فأمر ببناء الزلالق لأبواب اشبيلية فى عام ٥٦٧هـ/١١٧١م ، يقول ابن صاحب الصلاة : « وابتنى الزلالق لأبواب اشبيلية من جهة الوادى احتياطا من السيل الخارج عليها ، وابتنى قصبتها البرانية والداخلية »[١٠٦] . كما بنى الرضفان المتدرجة بضفتى الوادى ليمنع مياه السيول والفيضانات أن تغرق المدينة[١٠٧] .

ولم يمض سبعة أعوام على ذلك حتى تعرضت اشبيلية وضاحيتها طريانة Triana لسيل كبير عام ٥٧٤هـ/١١٧٨م ، ولكن يبدو أن

---

(١٠٤) ابن القطان : نظم الجمان : ص ٢٣٣ .

(١٠٥) ابن صاحب الصلاة : المن بالامامة ص ٢٣٤ — ابن ابى زرع : الانيس المطرب ص ١٧٧ .

(١٠٦) ابن صاحب الصلاة : المصدر السابق ص ٢٣٥ . انظر كذلك : عبد العزيز سالم : تحقيق اسماء قصور بنى عباد باشبيلية الواردة فى شعر ابن زيدون . مجلة أوراق ، مدريد . العدد الثانى ١٩٧٩ ص٣٦ —
L T; Balbas: Ciudades hispano-musulmanas, PP; 489-490.

(١٠٧) السلاوى : الاستقصا ج ٢ ص ١٥١ .

هذا السيل لم يؤد الى أضراره واضحة لأن ابن عذارى — الذى أورد نبأ هذا السيل — لم يشر الى أية نتائج ترتبت عليه[١٠٨] • وعلى الرغم من الاجراءات التى سبق أن اتخذها الخليفة أبو يعقوب يوسف لمواجهة هذه السيول المدمرة ، الا أن ذلك لم يحل دون تعرضها للدمار مرة أخرى نتيجة سيل عنيف اجتاح مدن الوادى الكبير من قرطبة الى مدينة قادس وذلك فى عام ٥٩٧هـ/١٢٠٠م • وكانت اشبيلية أكثر المدن الواقعة عليه تضررا منــه ، ويصف الحميرى هــذا السيل بأنه السيل العظيم الجارف على اشبيلية المربى على كل ســيل[١٠٩] • اما ابن عبد الملك المراكشى فيصفه بأنه أكبر السيول وأعظمها عبرة وأشدها آثارا[١١٠] ، فى حين أن ابن عذارى يصفه بالسيل الشنيع[١١١] • وبلغ من شد هذا السيل أن الاندلسيين صاروا يؤرخون به أحداثهم ، فيروى ابن عبد الملك المراكشى فى ترجمته لمحمد بن أحمد بن عبدالله المعروف بابن سيد الناس، أن هذا الأخير ولد صدر سنة سبع وتسعين وخمسمائة قبل السيل الكبير باشبيلية بأشــهر[١١٢] • أما ما أحدثه هذا السيل من خراب وتدمير ، فقد أجمع المؤرخون على أنه بدأ يوم الاثنين التاسع عشر من جمادى

---

(١٠٨) ابن عذارى : البيان المغرب (قسم الموحدين) ص ١٤٠ •

(١٠٩) الحميرى : الروض المعطار : ص ٥٩ •

(١١٠) ابن عبد الملك المراكشى : الذيل والتكملة . السفر الخامس . القسم الثانى . تحقيق احسان عباس بيروت ١٩٦٥ ص٦٦١ •

(١١١) ابن عذارى : البيان المغرب (قسم الموحدين) ص ٢٣٩ •

(١١٢) ابن عبد الملك : المصدر السابق ص ٦٦١ •

الآخر عقب صلاة الظهر ، حيث هاجمت المياه المتدفقة سور المدينة فهدمته فى المنطقة الممتدة ما بين باب طريانه وباب المؤذن وبناحية الدقاقين ، ثم أحدثت بركة كبيرة قدر طولها بحوالى أربعين باعا . ثم انتشرت المياه داخل مدينة اشبيلية وارتفع منسوبها بحيث أن أهل اشبيلية لم يتمكنوا من الانتقال من مكان لآخر الا بواسطة القوارب ، ويصف ابن عبد الملك — نقلا عن أبى العباس بن على بن هارون — حال اشبيلية فى ذلك الوقت فيقول « وعاينت فى هذا السيل القوارب تعدى بباب ساباط النساء بباب العطارين ، وكان دخولها وخروجها على باب المؤذن ، ولم يكن أحد من المعدين يعدى الا فى القوارب القرطبية لعظم الماء وجفائه ... وعاينت قوارب المعدين تعدى بأول درب الدباغين قرب جامع العدبس ، وبأول القصر الذى بغرب سوق باب الحديد ... وصارت اشبيلية مابين المياه كأنها جزيرة »(١١٣) . ولم تقتصر الاضرار التى سببها هذا السيل — والذى استمر تسعة أيام متصلة — على ذلك ، بل أنه هدم وأتلف حوالى ستة آلاف دارا من دور اشبيلية ، وتسبب فى وفاة وغرق عدد كبير من أهلها ، وذكر أنه عثر على جثث لسبعمائة شخص بالرمال الكبار باشبيلية كان السيل قد جرفها الى هناك(١١٤) . ولاشك أن كثرة السيول التى تعرضت لها اشبيلية أدت الى شعور أهلها بنوع من التبرم والضيق

---

(١١٣) نفس المصدر السابق ص ٦٦٢ .

(١١٤) ابن عذارى : البيان المغرب (قسم الموحدين) ص ٢٣٩ . ومن العجيب أن ابن عبد الملك المراكشى الذى أورد وصفا دقيقـــا لهذا السيل =

برغم حبهم لمدينتهم ، وعبر أحد شعرائها عن هذا الضيق بقوله :

لله حمص أيما بلدة
لو أننا نأمن ثعبانها

طاف بها والريح روح له
فابتلع الأرض وسكانها(١١٥)

وعلى الرغم من الأضرار الكبيرة التى لحقت بأسوار اشبيلية نتيجة لهذا السيل ، وانهيار أقسام منه الا أن الموحدين لم يشرعوا فى اصلاح ما تهدم من هذه الأسوار الا عام ٦١٨هـ/١٢٢١م عندما قام والى اشبيلية أبو العلا أدريس بتحصين المدينة نظرا لاشتداد الضغط القشتالى عليها ، فبدأ ببناء برج برانى هائل وذلك فى أضعف نقاط الدفاع عن اشبيلية،هذا البرج هو المعروف ببرج الذهب Torre del Oro والذى ما يزال قائما حتى الآن . وفى عام ٦٢٠هـ/١٢٢٣م جدد أبو العلاء أدريس بناء أسوار اشبيلية التى تهدمت بفعل السيول ، وأقام أمامها

= وما أحدثه من دمار وخراب لمدينة اشبيلية ، ذكر انه لم يمت فى هذه الكارثة سوى خمسة افراد فقط . راجع : ابن عبد الملك المراكشى : المصدر السابق ص ٦٦٢ .

(١١٥) ابن عذارى : البيان المغرب (قسم الموحدين) ص ٢٣٩ . والمقصود بحمص الواردة فى الشطر الاول من البيت الاول مدينة اشبيلية لانه جرت عادة الاندلسيين تشبيه مدنهم بالمدن المشرقية فاطلقوا مثلا على مدينة غرناطة : دمشق ، ومالقه : الاردن ، وتدمير (مرسية) : مصر ، وجيان : قنسرين ... وهكذا . اما ثعبانها فهو نهر الوادى الكبير .

جزاما برانيا ، وحفر حولها خندقا يدور بهذه الأسوار مبالغة فى تحصين المدينة[116] .

وفى عصر دولة بنى نصر (أو بنى الاحمر) فى غرناطة ، التى تمثل آخر عهود المسلمين بالاندلس ، تعرضت بلاد شرق الاندلس لسيول وأمطار غزيرة اجتاحت الأراضى الزراعية واتلفت المزوعات ، وقل وجود الغذاء . ويذكر لسان الدين بن الخطيب أن السلطان النصرى أبا الحجاج يوسف بن نصر (٧٣٣ — ٧٥٥هـ/١٣٣٣ — ١٣٥٤م) قام بجولة تفقدية لهذه المناطق — وخاصة مدينتى بسطة Baza وبرشانة Purchana لمعاينة الآثار المدمرة التى خلفتها هذه السيول[117] . ووصف ابن الخطيب حالة هذه المدن فى عبارات طريفة ، مثال ذلك وصفه لدجاجة قدمها اليهم قاض مدينة برشانة ، يقول ابن الخطيب «... وأعوانه (أى أعوان القاضى) من القلعة تنحدر ، والبشير منهم بقدومها يبتدر ، يزفونها كالعروس فوق الرؤوس ، فمن قائل أمها البجابية ، وقائل أخوها الخصى الموجه الى الحضرة العليا ... قلت ياقوم ظفرتم بقرة العين ، وأبشروا

(١١٦) ابن ابى زرع : الانيس المطرب ص ١٨١ — عبد العزيز سالم : اضواء على مشكلة تاريخ بناء سور اشبيلية . ص ١٤٨ — ١٤٩ ولنفس المؤلف : تحقيق اسماء قصور بنى عباد ص ٣٦ .

(١١٧) كانت هذه الزيارة التى قام بها السلطان ابو الحجاج رفقه وزيره الاديب والمؤرخ لسان الدين بن الخطيب موضوعا لرسالة الفها هذا الوزير بعنوان « خطرة الطيف فى رحلة الشتاء والصيف » . وكان المستشرق الالمانى جوزيف موللر قد نشرها فى كتابه « نخب من تاريخ المغرب العربى » Beitrage Zur Geschicts der westlichen Araber, Munchen 1866.
=

باقتراب اللقاء فقد ذبحت لكم غراب البين »(١١٨) . ولاشك أن هــذه الصورة الساخرة التى يقدمها لنا ابن الخطيب توضح الى حد وصلت الأمور فى شرق الاندلس من جراء السيول الشديدة وقلة وجود الغذاء .

وفى أواخر أيام دولة بنى نصر تعرضت مدينة غرناطة لسيل عظيم فى بداية عام ٨٨٣هـ/اكتوبر ١٢٤٩م ، ويشير صاحب كتاب « نبذة العصر فى أخبار ملوك بنى نصر » أن هذا السيل حدث فى يوم الثانى والعشرين من محرم (٢١ أكتوبر) . وكان السلطان الغرناطى أبو الحسن على بن سعد (ت ٨٩٠هـ/١٤٨٥م) يقوم بعمل التمييز لجيوشه ، وكان أهل غرناطة يخرجون كل يوم الى السبيكة(١١٩) وما حول الحمراء يتنزهون ويتفرجون على هذا التمييز . وفى آخــر أيام التمييز تلبدت السماء بالغيوم وظهرت سحابة عظيمة ، ثم بدأت السماء ترعد وتبرق وأعقب ذلك مطر غزير « ولم يزل المطر يزداد ويعظم ويكثر حتى صار كالأنهار العظيمة ، وجاءت السيول من كل ناحيــة وعظم أمرها وعاين الناس الهلاك من عظم ما رأوه من شدة المطر وكثرة السيول من كل ناحية(١٢٠). ومما زاد الأمر سوء أن نهر حدرة Rio Darro الذى يشق غرناطة

= وقد أعاد الدكتور مختار العبادى نشر هذه الرسالة ضمن مجموعة من رسائل ابن الخطيب تحت عنوان « مشاهدات لسان الدين بن الخطيب ، مجموعة من رسائله — الاسكندرية ١٩٨٣ ، ص ٢٥ — ٥٣ .

(١١٨) مختار العبادى : المرجع السابق : ص ٣٧ .

(١١٩) السبيكة : مكان متسع فى حمراء غرناطة يقع بالقرب من مدافن ملوك بنى نصر .

(١٢٠) مؤلف مجهود : نبذة العصر فى اخبار ملوك بنى نصر . نشر الفريد البستانى . العرائش ١٩٤٠ ص ٤ .

امتلأ عن آخره وفاضت مياهه فأتى على ما بضفتيه من الاشجار الكبيرة، ثم هاجمت المياه احياء غرناطة فأغرقت الحوانيت والدور والمساجد والفنادق ، كما اتلفت الاسواق والبضائع الموجودة بها . وبلغ من قوة هذا السيل أنه هدم القناطر التى كانت مشيدة على نهر حدرة بحيث لم يبق منهـــا الا الأقواس ، كذلك هاجمت السيول قيسارية غرناطة واحياء القراقين والصاغة والحدادين . كمـــا أدى تراكم السيول مع الأشجار التى جرفتهـــا المياه الى اعاقة الحركة داخل غرناطة ، وبذل الغرناطيون جهودا كبيرة من أجل اصلاح ما أتلفه هذا السيل .

وكان لهذا السيل العظيم آثار سلبية على الغرناطيين وحاكمهم السلطان أبى الحسن على ، فيذكر صاحب كتاب « نبذة العصر » أنه منذ وقت السيل « بـــدأ ملك الأمير أبى الحســـن فى التقهقر ، والانتكاس والانتغاص .... وثقل المغارم وكثر الضرائب فى البلدان ، ومكس الأسواق ونهب الأموال وشح بالعطاء الى غير ذلك من الأمور »(١٢١) . وهكذا تسبب هذا السيل فى احداث آثار ضارة بالناحيتين الاقتصادية والسياسية لملكة غرناطة التى كانت تعانى من سكرات الموت ، بحيث لم يمض ١٤ عاما حتى كانت غرناطة قد استسلمت للملكين الكاثوليكين .

٣ ــ الزلازل :

على الرغم من أن بلاد الأندلس ليست من المناطق الشهيرة بكثرة وقوع الزلازل بها ، كما أنهـــا لا تقع فيما يطلق عليه حزام الزلازل ،

---

(١٢١) نفس المصدر السابق ص ٥ .

الا أنها تعرضت لعدد منها • ولا شك أن هذه الزلازل كانت تحدث أضرارا جسيمة للأندلسيين تختلف شدتها حسب قوة الزلزال أو ضعفه• ويذكر المؤرخون أن الأندلس تعرضت لزلزال شديد فى عام ٢٦٧هـ/٨٨٠م بعد العهد بمثله ، وكانت مدينة قرطبة من أكثر المدن تضررا من هـذا الزلزال الذى وقع يوم الخميس ٢٢ شوال حيث تهدمت القصور والمنازل وتساقطت سقوفها وحوائطها ، كما تساقطت الصخور من الجبـال على بعض اجزاء المدينة ، وأحدث ذلك هلعا شديدا لدى القرطبيين ، فتركوا مدينتهم وفروا الى الصحراء حتى انقضت هذه الهزة الأرضية • ويبدو أن الزلزال قد أصاب مناطق أخرى فى المغرب الاسلامى ، فقـد ذكر المؤرخون أنه عم بلاد الأندلس وبلاد العدوة المغربية من تلمسان الى طنجة سهلها وجبالها • وبرغم ذلك فقد ذكر ابن أبى زرع أن أحدا من الناس لم يصب بسوء وذلك لطفا من الله بخلقه(١٢٢) •

وفى عام ٣٣٢هـ/٩٤٣م تعرضت قرطبة مرة أخرى لزلزلة عظيمة يوم الأثنين لتسع خلون من ذى القعدة (٣ يوليو ٩٤٤م) عقب صلاة العشاء ، ويشير ابن عذارى الى أن هذه الهزة الأرضية دامت مدة ساعة كاملة ، ولا شك أن هذه مبالغة واضحة من ابن عذارى ، لأن الزلزال عادة لا يستغرق وقوعه اكثر من ثوان معدودة ، وربما حدثت الزلزلة فى ثوان ثم تكررت بعد ذلك عدة مرات لمدة ساعة • على أية حال أصاب

---

(١٢٢) ابن عذارى : البيان المغرب ج ٢ ص ١٠٤ — ١٠٥ • ابن ابى زرع : المصدر السابق ص ٦٠ •

القرطبيون حالة من الفزع ، فغادروا ديارهم الى المساجد يتضرعون الى الله لينقذهم منها واستمروا بالمساجد حتى انقضى هذا الزلزال[١٢٣]. ولكن لم يمض عامان على الزلزال السالف الا وتعرضت مرة أخرى فى عام ٣٣٤هـ/٩٤٥م لهزتين أرضيتين فى أسبوع واحد : الأولى فى السابع من جمادى الأولى والثانية فى الحادى عشر من نفس الشهر ، ويبدو أن هاتين الهزتين كانتا من النوع الخفيف بحيث لم تحدثا أية أضرار تذكر[١٢٤] .

ويشير ابن أبى زرع الى وقوع زلزلة عظيمة بالأندلس فى عام ٤١٥هـ/١٠٢٤م هدت الجبال واضطربت الأرض ، ولكنه — أى ابن أبى زرع — لم يوضح النتائج التى ترتبت عليها[١٢٥] . كما يذكر العذرى أن زلزالا كبيرا قد وقع بكورة تدمير وأصاب مدينتى أوريوله[١٢٦] . Orihuela ومرسية Murcia وذلك بعد عام ٤٤٠هـ/١٠٤٨م ، واستمر هذا الزلزال يضرب أنحاء هاتين المدينتين عدة مرات كل يوم نحو عام تقريبا فتهدمت له الدور « ووقعت الصوامع وكل بنيان عال ، وانهدم جامع أوريوله مع صومعته ، وانشقت الأرض من كل ناحية من

---

(١٢٣) نفس المصدر السابق جـ٢ ص ٢١١ .

(١٢٤) نفس المصدر السابق ص ٢٢٠ .

(١٢٥) ابن ابى زرع : الانيس المطرب ص ٧١ .

(١٢٦) أوريوله : احدى حصون كورة تدمير بشرق الاندلس ، وهى فى نفس الوقت قاعدة هذه الكورة ، وتقع على بعد ٢٣ كيلو متر الى الشمال الشرقى من مرسية . الحميرى : الروض المعطار ص ٦٧ .

الحومة ، وغارت أعين كثيرة وحدث فى بعضها ماله رائحة منتنة»[١٢٧] .
ولم يوضح العذرى الاجراءات التى أتخذها أبو بكر بن طاهر حاكم المدينتين لمعالجة الآثار المدمرة لهذا الزلزال .

وفى بداية شهر ربيع الأول عام ٤٧٢هـ/بداية سبتمبر ١٠٧٩م ، وقع زلزال عنيف بمدينة اشبيلية نتج عنه تهدم أعلى منار مسجد عمر بن عدبس ، فقام المعتمد بن عباد صاحب اشبيلية باعادة بناء ما تهدم من المنار خلال شهر واحد . وقد ورد ذكر لهذا الزلزال وكذلك تاريخ اعادة بناء المنار مسجلين على لوحة اكتشفت فى الجدار القبلى بقاعدة المئذنة[١٢٨] .

وفى عصر الموحدين تعرضت بلاد الأندلس فى شهر جمادى الأول ٥٦٥هـ/يناير ١١٧٠م لزلزال شديد ، أحدث بها دمارا شديدا ، وكانت مدينة أندوجر Andujar القريبة من قرطبة من اكثر المناطق التى تأثرت بهذا الزلزال ، حتى كادت الأرض أن تغوص بها ، أما فى قرطبة فتهدمت ديار كثيرة وصوامع ومساجد ، وكذلك حدث نفس الشىء فى غرناطة واشبيلية ، ويصف ابن صاحب الصلاة شدة هذه الزلازل بقوله

---

(١٢٧) العذرى : ترصيع الاخبار ص ٨ ، ولعل هذه الروائح المنتنة قد نتجت عن تصاعد بعض الأبخرة والغازات ذات الروائح النفاذة من باطن الأرض نتيجة لهذا الزلزال .

(١٢٨) عبد العزيز سالم : فى تاريخ وحضارة الاسلام فى الاندلس . الاسكندرية ١٩٨٥ ص ١٦٧ ؛

Levi-Provencal: Inscriptions Arabes D'Espagne, Leyde-Paris, D'Espagne, Leyde-Paris, 1931, Tom. 1, P. 38;

« ... فكان الرائى يرى حيطان الديار تضطرب وتميـل حتى الى الأرض ، ثم ترتفع وترجع على حالها بلطف الله تعالى»(١٢٩) . وواضح أن فىهذا القول بعض المبالغة .

٤ ــ الرياح والعواصف والصواعق والثلوج :

كثيرا ما كانت تنتاب بلاد الأندلس تغيرات فجائية فى المناخ كهبوب الرياح الشديدة التى تصل الى حد العاصفة أحيانا ، أو تساقط الجليد الذى يؤثر على المحاصيل الزراعية ، أو الصواعق التى تصيب الزرع والناس . وعلى الرغم من أن أهل قرطبة رصدوا حركة الرياح والأنواء، وكانوا على علـم بها ، فقـد وضـع عريب بن سعد كتـابا أسماه « كتاب الأنواء » تحدث فيه عن مواعيد هذه الأنواء ، واتخذ التقويم الميلادى أساسا لهـذه المواعيد(١٣٠) ، نقول برغم ذلك ، سببت هذه الظواهر الطبيعية العديد من الدمار والخراب فى بلاد الأندلس .

ويذكر ابن عذارى ــ نقلا عن الرازى ــ أنه فى عام ٢٦٧هـ/ ٨٨٠م صاحب الزلزال الذى وقع فى نفس العام ظهور سحب داكنة سوداء ورعد وبرق وصاعقة أصابت أحد مساجد قرطبة ، بالاضافة الى اصابة ستة أشخاص مات منهم اثنان بعـد أن أحترق شعر أحدهما واسود

---

(١٢٩) ابن صاحب الصلاة : المن بالامامة : ص ٣٩٧ ــ ابن عذارى ، البيان المغرب (قسم الموحدين) ص ١١٠ .

(١٣٠) نشر المستشرق الهولندى دوزى هذا الكتاب تحت عنوان «تقويم قرطبة » لعام ٩٦١/٣٥٠هـ
Le calendrier de Cordoue de L'année 961, Ley de, 1873

وجهه وشقه الأيسر ، أما الآخر فظهر سواد بشقه الأيمن ، أما الأربعة الآخرون فأصيبوا باصابات مختلفة . كما وجد المصلون رائحة النار فى أرضية المسجد ، بيد أن هذه الصاعقة لم تحدث ضررا فى سقف المسجد وحائطه[١٣١] .

أما فى عام ٣٠٣هـ/٩١٥م فقد اجتاحت العواصف الثلجية مدينة تطيلة Tudela فأتلفت المحاصيل الزراعيـــة ، ونتج عن ذلك غلاء شديد وارتفاع فى الاسعار حتى بيع القمح باثنى عشر دينار درهم فضة ، كما مات كثير من الناس جوعا ، بينما هاجـــر عـــدد كبير من الاندلسيين الى بـــلاد المغرب[١٣٢] . وللأســـف لم توضح المصـــادر الاجراءات التى اتخذت من قبل الحكام للتخفيف من أثر هذه الكارثة .

كذلك هبت ريح عاصفة على مدينة قرطبة فى اليوم التالى لوقوع زلزال عام ٣٣٢هـ وتسببت هذه الريح فى اقتلاع العـــديد من أشجار الزيتون والتين والنخيل ، كما أطاحت بعدد كبير من قراميد السقوف ، وتلى ذلك هطول أمطار غزيرة ، ثم بـــرد غليظ ألحق أضرارا فادحة بالمواشى والطيور والزرع . وفى العام التالى أصـــابت قرطبة رياح شديدة اقتلعت العديد من الاشجار ، بالاضافة الى نزول برد غليظ أتلف المحاصيل الزراعية[١٣٣] . وفى عام ٣٤٠هـ/٩٥١م هبت رياح عاتية على

---

(١٣١) ابن عذارى : البيان المغرب جـ ٢ ص ١٠٤ — ١٠٥ .
(١٣٢) ابن حيان : المقتبس (نشر شالميتا) ص ١٢٤ .
(١٣٣) ابن عذارى : البيان المغرب جـ ٢ ص ٢١١ .

قرطبة أتبعها برق ورعد ، كما نزلت صاعقة على أحد سكان قرطبة يدعى أحمد بن هاشم بن عبد العزيز ، كما قتلت أمرأة وأصابت أخرى[١٣٤] .
كما تعرضت قرطبة فى بداية جمادى الآخر عام ٣٦٢هـ/٩ مارس ٩٧٣م ولمدة عشرة أيام لريح شديدة وأنواء غليظة وبروق خاطفة ، كما نزل بقرطبة وبعض مدن الأندلس فى السابع من رجب من نفس العام (١٤ أبريل) جليد أسود أستمر نزوله ثلاث ليال ، ولهذا الجليد أثر سىء على الزراعة حيث أحرق كثيرا من اشجار الكروم والزيتون والتين[١٣٥] . وفى رجب من العام التالى (٣٦٣هـ/أبريل ٩٧٤م) هبت رياح عاصفة على قرطبة تسببت فى اقتلاع كثير من اشجار الزيتون وملخت أعضاءه ، كما اقتلعت العديد من الأشجار[١٣٦] . ولا شك أن هذه الرياح والعواصف والأنواء التى تعرضت لها الأندلس أصابت الأراضى الزراعية بالتلف ، وبالتالى قل انتاج الغذاء وأدى ذلك بدوره الى ارتفاع الاسعار مما عرض الأندلس لأزمات اقتصادية طاحنة .
ولم يقتصر تأثير العواصف والبرق والرعد على الأراضى الزراعية وانتاج الغذاء فحسب ، بل تعداه الى التأثير على حركة الجيوش فى الحرب ، فقد ذكر ابن عذارى أن المظفر عبد الملك بن المنصور بن أبى عامر ، حينما خرج فى غزوته الثانية عام ٣٩٥هـ/١٠٠٤م لجهاد النصارى الأسبان ، وصل الى بلدة سمورة عاصمة جليقية ، ثم أراد مواصلة

---

(١٣٤) نفس المصدر السابق ص ٢١٨ .
(١٣٥) ابن حيان : المقتبس (نشر حجى) ص ١٠٠ — ١٠١ .
(١٣٦) نفس المصدر السابق ص ١٥٤ .

الغزو والاتجاه شمالا لمطاردة أعدائه ، ولكن سوء الاحوال الجوية حال دون ذلك ، فقد غيمت السماء ثم هبت رياح شديدة ، وأعقب ذلك برق ورعد وصواعق ، وأصابت هذه الصواعق ميسرة جيش المظفر عبد الملك فأحرقت بعض الدواب ورجلا من جملة الحشود كان متــواجدا فى ذلك المكان . وقد احدثت هذه الصاعقة نوعا من الفزع والهلع فى جيش المظفر ، ولم يتمكن من مواصلة السير الا بعــد أن هــدأت العاصفة وتحسنت الأحوال الجوية وزال الروع من قلوب جنوده(١٣٧) . وحدث ما يشبه ذلك فى غزوة المظفر الرابعة ضد نصارى الشمال ، حيث هطلت الأمطار بشدة ، وظهر البرق ودوى الرعد بصورة عنيفة مما أدى الى حدوث حالة من الفزع الشديد انتشرت فى عسكره الذين أخذوا يتضرعون الى الله كى يرفع عنهم ما نزل بهم من البلاء ، ولم يواصل المظفر زحفه الا بعد عودة السماء لصفائها(١٣٨) . كما تكرر نفس الموقف مع الخليفة الموحدى أبى يعقوب يوسف أثناء غزوته لمدينة وبذة Huete فى عام ٥٦٧هـ/١١٧١م ، حيث هبت رياح شديدة على المعسكر الموحدى أدت الى تمزق العديد من الأخبية والخيام ، فقام الجند بعمل ساتر كبير يحمى قبة الخليفة من هذه الرياح ، كما صنعوا لأنفسهم مثل ذلك ، وبعد يومين عاودت الرياح هبوبها ولكن بصورة أعنف من سابقتها ، فمزقت الخيام الباقية ، ثم هطلت أمطــار غزيرة ورعد قاصف وبرق خاطف . واستمرت نفس الأحوال سائدة حتى اليوم التالى وهو اليوم

(١٣٧) ابن عذارى : البيان المغرب ج ٣ ص ١٢ .
(١٣٨) نفس المصدر السابق : ج ٣ ص ١٢ — ١٣ .

الذى قرر فيه الخليفة أبو يعقوب يوسف مهاجمة حصن وبذة «.. ففزع الناس وتعجبوا ، ورغبوا فى التوبة من الله تعالى وانقلبوا ، ولم يبق ثوب على أحد الا رجع الماء ... وعجزوا عن القتال على كثرة العـدد والعدة »(١٣٩) . وازاء هذا الطقس السيىء اضطر الخليفة أبو يعقوب الى الانسحاب ورفـع الحصـار عن وبـذة ، وبالتالى فشلت هـذه الحملة(١٤٠) .

وفى أواخر عصر دولة بنى نصر بغرناطة ، كانت الثلوج عاملا من عوامل سقوط غرناطة فى يد الملكين الكاثوليك فرناندو وايزابيلا ، فتروى المصادر أن الملك فرناندو حاصر غرناطة حصارا شديدا ، كما أفسد مروجها وبنى أمامها مدينة أطلق عليها اسم الأيمان المقدس Santa Fé لتكون قاعدة لعملياته العسكرية ضد غرناطة ،ولكن على الرغم من ذلك، كان الطريق بين غرناطة والبشرات Alpujarras متصلة بالمرافق والطعام يأتى للمحاصرين بغرناطة من ناحية جبل شلير Sierra Nevada

---

(١٣٩) ابن صاحب الصلاة : المن بالامامة ص ٤٩٩ — ٥٠٠ .

(١٤٠) ابن عذارى : البيان المغرب (قسم الموحدين) ص ١٢٣ . وقد ذكرت المصادر المسيحية أن هذه العاصفة الشديدة والمطر الغزير حدثا يوم ١٩ يوليو الذى يوم عيد القديسة خوستا ، ولذلك اتخذ أهل وبذة القديسة خوستا حامية لمدينتهم لاعتقادهم انها السبب وراء هطول الأمطار وهبوب العواصف التى حالت دون سقوط المدينة فى ايدى الموحدين . راجع :

Huici Miranda: Historia Politica del Imperio Almohade, Tetuan 1956, Tom. 1, P. 259;

الى أن تمكن فصل الشتاء ، وكلب البرد ، ونزل الثلج ، فانسد باب المرافق وانقطع الجالب وقل الطعام واشتد الغلاء ، وعظم البلاء ففر الناس الى البشرات من الجوع ، وازدادت الأحوال سوء داخل غرناطة لعدم وصول الامدادات نتيجة للثلوج التى اعاقت القوافل من الوصول لغرناطة • وكان لذلك أثر مباشر على تفكير الغرناطيين فى تسليم مدينتهم للملك فرناندو[١٤١] •

٥ ـ الجـراد :

يعتبر الجراد من أخطر الكوارث الطبيعية التى تصيب البلاد نظرا لأنه يأتى على الأخضر واليابس ، وكثيرا ما يسبب أضرارا فادحة للثروة الزراعية سواء فى الأندلس أو غيرها • ولذلك أولى الأندلسيون عملية مكافحة الجراد فى بلادهم عناية كبرى • ويذكر عريب بن سعد أنه فى شهر مارس « يظهر دبيب الجراد فيؤمر بعقـره »[١٤٢] • كما عمل الأندلسيون على تركيب شباك ضيقة المسام تستخدم كمصدات لمجموعات الجراد ، ايضا استعمل الأندلسيون طريقة اشعال بعض الأشجار لدفع خطر الجراد ، لأن الدخان المتصاعد من هذه الحرائق يساعد على طرد الجـراد ، كما استخدم أهل الاندلس زبل الحمام كسماد لأراضيهم

---

(١٤١) مؤلف مجهول: نبذة العصر فى أخبار ملوك بنى نصر. ص٣٦ـ٣٧ السلاوى : الاستقصا جـ ٤ ص ١٠٣ ـ ١٠٤ ـ كذلك انظر : مختار العبادى : دراسات فى تاريخ المغرب والاندلس : ص ٤٦٧ ـ ٤٦٨ ـ محمد عبدالله عنان : نهاية الاندلس وتاريخ العرب المتنصرين • ص ١٨٢ •

(١٤٢) عريب بن سعد : كتاب الانواء أو تقويم قرطبة ص ٤١ •

لاعتقادهم أنه يقتل الجراد الذى يهاجم محاصيلهم(١٤٣) . وكانت هناك مناطق فى الأندلس أشتهر عنها مهاجمة الجراد لها مثل فحص الفندون بناحية لورقه ، حيث اشار العذرى الى أن الجراد « كثيرا ما يطرق هذا الفحص ويؤثر فيه(١٤٤) .

أما عن هجوم الجراد على الأندلس فيذكر ابن حيان انه فى عام ٢٠٧هـ انتابت بلاد الأندلس مجاعة شديدة زاد من شدتها انتشار الجراد « ولحسه الغلات وتردده بالجهات »(١٤٥) . كذلك كان هجوم الجراد على الأراضى الزراعية بالاندلس فى عام ٢٣٢هـ من عوامل ازدياد شدة القحط الذى حل بالأندلس هذا العام(١٤٦) .

وفى أثناء المجاعة التى انتابت الأندلس عام ٣٨١هـ « أتى جراد كثير فوق النهاية عم جميع بلاد الأندلس فسمح بهـا ، وكان جله وأكثره بقرطبة حتى كثر به الأذى وعظم به البلاء»(١٤٧) . ولمواجهة هذا الخطر،

---

(١٤٣) Imamuddin: Some aspects, P. 74.

(١٤٤) العذرى : ترصيع الاخبار ص ٢ . ويروى العذرى — فى نفس الصفحة — رواية خيالية عن سبب مهاجمة الجراد لهذه المنطقة فيقول انه كان بها طلسما من ذهب على هيئة جرادة كان الأهالى يعتقدون انه يحمى مدينتهم من خطر الجراد ، فلما سرق هـذا الطلسم بدأ الجراد يهاجم هذه المنطقة بصفة مستمرة . وهذه الرواية أن دلت على شىء فانما تدل على تعرض هذه المنطقة لخطر الجراد من قديم حتى صارت اسطورة شعبية .

(١٤٥) ابن حيان : المقتبس (نشر مكى) ص ٩٣ .

(١٤٦) ابن عذارى : البيان المغرب جـ ٢ ص ٨٩ .

(١٤٧) ابن ابى زرع : الانيس المغرب ص ٧٣ .

رصد المنصور بن أبى عامر مبلغا من المال يصرف منه على أعمال مقاومة الجراد ، كما أمر الناس بقرطبة بجمعه وعقره « وجعل جمعه وظيفة كل واحد بقدر طاقته ، وأفرد له سوقا لبيعه بجانب السوق »(١٤٨) . وبرغم كل هذه الاجراءات الا أن الجراد ظل يهاجم قرطبة طيلة ثلاثة أعوام متتالية (٣٨١ — ٣٨٣هـ) ، ثم انقطع بعد ذلك بعد أن أجهد القرطبيين كثيرا فى مقاومته .

وفى العصر المرابطى اشتدت وطأة الجراد على بلاد الأندلس ، ويزودنا المؤرخ ابن القطان بأخبار وافيـــه عما أحدثه الجراد فى بلاد الأندلس ، ففى عهد أمير المسلمين على بن يوسف بن تاشفين هاجم الجراد بلاد الأندلس لمدة ستة أعوام متصلة (من ٥٢٦هـ حتى ٥٣١هـ/ ١١٣٢ — ١١٣٦م) حتى محت ما على الأرض مـــن زرع وكلأ(١٤٩) . ولا شك أن هـــذه الأضرار الجسيمة التى سببها هجوم الجراد أثرت تأثيرا سيئا على الأحوال الاقتصادية فى بلاد الأندلس حيث ندر وجود الغذاء ، ولذلك عنى المرابطون عناية كبيرة بمكافحة الجـــراد ، بحيث أصبح هذا الأمر الشغل الشـــاغل لأمير المرابطين على بن يوسف بن تاشفين ، ويتضح ذلك من تلك الرسالة التى بعث بها على بن يوسف بن تاشفين الى أهل الأندلس يحثهم فيها على بذل الجهد لمقاومة الجراد

---

(١٤٨) نفس المصدر السابق والصفحة . ومن المعروف ان هناك بلاد كثيرة يتناول سكانها الجراد .

(١٤٩) ابن القطان : نظم الجمان : صفحات ١٩٩ ، ٢٠٢ ، ٢٠٨ ، ٢١٧ .

ويقول فيها « ... فأخرجوا اليه الجم الغفير ولا يتخلف الكبير منهم ولا الصغير ، ولا يأو أحد منكم فراشه حتى تحرقوا فراشه وتبيدوا آثاره[١٥٠] . وقد نفذ والى قرطبة تاشفين بن على التعليمات التى بعث بها والده على بن يوسف بى تاشفين ، فأمر أهل قرطبة بالخروج من ديارهم لمكافحة الجراد « فساقوا منها خمسة آلاف عدل[١٥١] وثلاثمائة وثلاثين عدلا ، وغاب عن العيون أكثر ، تركت فى الموضع الذى قتلت فيه ولم تحمل »[١٥٢] .

وبرغم ذلك ، ظل الجراد من الآفات الخطيرة التى تعرضت لها المناطق المزروعة ببلاد الأندلس ، حيث هاجم الأندلس فى عام ٥٣٠، ٥٣١هـ وأحدث أضرارا كبيرة بالزراعة[١٥٣] .

أما فى عصر الموحدين ، فلم يزودنا المؤرخون بأية أخبـــار عن الجراد ، مما يبعث على الظن بأن الموحدين بذلوا جهودا فائقة فى مجال مكافحته ، ويبدو أن هذه الجهود نجحت فى الحد كثيرا من خطره[١٥٤] .

---

(١٥٠) محمود على مكى : وثائق تاريخية جديدة عن عصر المرابطين . صحيفة معهد الدراسات الاســلامية . مدريد . العــدد ٧ — ٨ ، ١٩٥٩ ص ١٨٨ .

(١٥١) يقصد بكلمة «عدل» الواردة فى النص ملء جوال ، وسمى كذلك لانه يحمل على جنب البعير ويعدل باخر . انظر مادة «عدل» فى لسان العرب لابن منظور . طبعة دار المعارف .

(١٥٢) ابن القطان : نظم الجمان : ص ٢١٧ .

(١٥٣) المصدر السابق : ص٢٢٦ — ٢٢٨ .

(١٥٤) كمال أبو مصطفى : مصادر الثروة الاقتصادية : ص٩٦ .

خاتمـــة

استعرضنا فى الصفحات القليلة السابقة النوازل الطبيعية التى حلت ببلاد الأندلس منذ الفتح الاسلامى حتى نهاية عصر الموحدين ، ورأينـــا كيف أن هـــذه الكوارث كثيرا مـــا ألحقت الضرر والأذى بالأندلسيين ، كما لاحظنا أن العديد من حكام الأندلس حاولوا التخفيف من وطأة هذه الكوارث على أهل الأندلس ، وبذلوا قصارى جهدهم فى سبيل دفع البلاء عن الرعية • فكانوا يأمرون باقامة صلاة الاستسقاء مرات عديدة حتى يجود الله بغيثه ، وقاموا كذلك باسقاط الضرائب عن رعيتهم فى سنوات المحل والمجاعة ، كما وزعوا الحبوب والمواد الغذائية على فقراء الناس ، وأشرنا فى هذا الصدد الى ما قام به الأمير الحكم بن هشام المعروف بالربضى عند ما تعرضت بلاد الأندلس لمجاعة فى عام ١٩٩هـ ، كذلك ما فعله الأمير عبد الرحمن الأوسط خلال مجاعة ٢٠٧هـ ، ثم ما قام به الخليفة الأموى عبد الرحمن الناصر أثناء مجاعة ٣٠٣هـ • كما ألمحنا الى قيام الخليفة الأموى المستنصر بانفـــاق الأموال على الضعفاء والمساكين خلال القحط الذى أصاب الأندلس عام ٣٥٣هـ ، كما قام المنصور بن أبى عامر بتوزيع الصـــدقات والأموال والطعام على المحتاجين أثنـــاء المحل الذى عم الأندلس عام ٣٧٨هـ • ثم ما قام به الخليفة الموحدى المنتصر عندما تعرضت الأندلس لجفاف شديد حيث أمر بتوزيع الطعام على الفقراء والمساكين دون مقابل •

كما لجأ أمراء وخلفاء الأندلس الى وسيلة أخرى لدفع خطر هذه

النوازل الطبيعية فقد حرص بعض الحكام على تخزين الحبوب والمواد الغذائية لفترات طويلة تحسبا لأيام المجاعة والقحط ، وعلى سبيل المثال نوهنا بما قام به الخليفة الأموى الناصر فى هذا الشأن حيث أخذ فى تخزين الحبوب والمواد الغذائية فى الأهراء السلطانية ، ولما تعرضت الأندلس لمحل شديد فى عام ٣٢٤هـ ، لم ترتفع أسعار السلع أو المواد الغذائية ، لأن الناصر غمر الاسواق بالغذاء فثبت سعره . كذلك سلك الحاجب المنصور بن أبى عامر نفس المسلك عقب المجاعة التى تعرضت لها الأندلس فى عام ٣٨١هـ ، حيث أخرج الأموال الكثيرة لشراء الحبوب وحفظها فى الأهراء ، كما فعل أبو يعقوب يوسف الموحدى نفس الشىء عام ٥٦٣هـ ، حيث يشير ابن صاحب الصلاة الى أن أبا يعقوب يوسف أمر بتخزين كميات كبيرة من الحبوب والميرة بقصبة غرناطة ، فكانت السفن ترحل من السواحل المغربية وتفرغ حمولتها من الغذاء والحبوب بثغر المنكب Almunecarr ، ومن هناك تحمل الى غرناطة(١) .

ولم تقتصر عملية تخزين الحبوب على الحكام ، بل أن الأندلسيين قاموا أيضا بتخزين الطعام اتقاء لخطر المجاعة والقحط ، ولذلك أصبح المخزن أو المطمورة جزءا أساسيا فى المزرعة أو بيت المزارع ، وكان الأندلسيون ينحتون المطامير فى الصخور لتخزين الحبوب فيها(٢) .

---

(١) ابن صاحب الصلاة : المن بالامامة ص ٢٠١ — ٢٠٢ .

(٢) الزهرى : كتاب الجغرافية ص ٨٢ — ٨٣ — المقرى : نفح الطيب جـ ١ ص ٢٠٦ — انظر كذلك . عز الدين موسى : النشـــاط الاقتصادى . ص ١٩٢ .

ولكن بعض حكام الأندلس لم يعمل على التخفيف من وطأة هذه النوازل الطبيعية على رعيتهم ، وسبق أن أشرنا الى ما فعله الأمير الأموى محمد بن عبد الله حينما رفض اسقاط ضريبة العشور عن أهل الأندلس خلال مجاعة سنة ستين ، ولعل هذا التصرف من قبل الأمير محمد كان من أهم عوامل سخط الأندلسيين عليه وكراهيتهم له ، لذا تميز عصره بكثرة الثورات والفتن . أيضا أشرنا الى الموقف السلبى الذى اتخذه والى قرطبة المرابطى خلال مجاعة ٥٢٦هـ ، ورجحنا أن يكون موقفه هذا من ضمن الاسباب التى أدت الى عزله من منصبه .

ومن ناحية أخرى بذل الأندلسيون قصارى جهدهم لتلافى الآثار الضـارة لهذه النوازل فقـد ابتكروا طرقا مختلفـة لحفظ الميـاه واستخدامها فى مواسم الجفاف الطويلة ، مثل حفظها فى صهاريج ، ويشير عريب بن سعد الى أن أهل الأندلس كانوا يحرصون على ادخال مياه الأمطار الغزيرة فى أجباب (جمع جب) ابتداء من شهر ديسمبر كل عام[٣] . كما عمد الأندلسيون الى زراعة بعض المحاصيل فى غير أوقاتها وتغطيتها حتى لا يضر بها الجليد مثل الخضروات والياسمين والموز[٤] .

واذا حاولنا أن نجمـل الآثار التى ترتبت على هـذه الكوارث الطبيعية ، فسبق أن اشرنا الى العديد منها فى ثنايا هذا البحث ، ولكن

---

(٣) عريب بن سعد : كتاب الانواء ص ١٨٥ .

(٤) نفس المصدر السابق ص ١٧٣ — عز الدين موسى : النشـاط الاقتصادى ص ١٩١ .

يمكن القول أن الجانب الاقتصادى كان من أكثر الجوانب تأثرا بهذه الكوارث • فاسعار السلع والمواد الغذائية والمنتجات الزراعية أرتفعت ارتفاعا شديدا نظرا لقلة المعروض فى أوقات هذه النوازل (نظرية العرض والطلب) ، وبالتالى كانت العملة الأندلسية تفقد الكثير من قيمتها خلال تلك الأزمات • أيضا اضطر الأندلسيون الى استيراد الحبوب والغذاء من خارج شبه الجزيرة الايبيرية وخاصة من بلاد العدوة المغربية ، كل ذلك حدث على الرغم من ثروات الأندلس الهائلة •

هناك أيضا هجرة الأندلسيين الى خارج الأندلس اثنـــاء هـــذه الأزمات الطاحنة ، هذه الهجرة كان لها انعكاسات سيئة على الناحيتين الأقتصادية والاجتماعية فى الأندلس(٥) • لأن الاندلسيين كانوا من أهل الحرف والصناعات الذين افتقدتهم الاندلس ، أو من المزارعين الذين تركوا أرضهم فأصـــابها البوار ، فتقلصت المســـاحات المزروعة وبالتالى قل الانتاج الزراعى(٦) • كما تسببت الأوبئة الفتاكة والطواعين التى اجتاحت الأندلس — مع عامل الهجرة الى خارج الأندلس ، الى قلة عدد سكان الأندلس بالقياس لمساحتها الكبيرة •

---

(٥) لا شك أن هجرة الاندلسيين الجماعية خارج وطنهم لها العديد من الاسباب لعل من أهمها ذلك الضغط المستمر الذى تعرض له الاندلسيون من قبل نصارى شبه الجزيرة الايبيرية فيمـــا عرف باسم حركة الاسترداد La Reconquista

(٦) على الرغـــم من الاثار السلبية لهجرة الاندلسيين على المجتمـــع الاندلسى ، الا أن هذه الهجرة كان لها آثار ايجابية بالنسبة للمناطق التى نزل بها هؤلاء الاندلسيون ، لانهم نشروا تقاليدهم الحضارية أينما حلوا ، مما ساعد على تطور الفنون والعلوم والصناعات فى منـــاطق استقرارهم الجديدة •

ضميمة

كتاب أرسلهُ الخليفة الأموى عبد الرحمن الناصر الى جميع العمال على الكور بالأمر بالاستسقاء • (ابن حيان : المقتبس — نشر شالميتا • ص ٢٥١ — ٢٥٢) •

بسم الله الرحمن الرحيم

أما بعد ، فان الله عز وجل ، اذ بسط رزقه ، وأغدق نعمه ، وأجزل بركاته ، أحب أن يشكر عليها ، واذا زواها وقبضها ، أحب أن يسألها ويضرع اليه فيهـــا ، و (هو الرزاق ذو القوة المتين)[١] و (التواب الرحيم)[٢] ، (الذى يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات ويعلم ما تفعلون)[٣] ، (وهو الذى ينزل الغيث من بعـــد ما قنطوا ، وينشر رحمته ، وهو الولى الحميد)[٤] ، فأوجبت به الرغبة اليه ، عز وجهه ، فيه والخضوع لعزته والاستكانة له والالحاح فى المسألة فيما احتبس به ، والتوبة من الأعمال المنكرة التى توجب سخطه ، وتبذل نقمــه ، وتستر وجه رضاه ، تعالى جده •

وقد أمرنا الخطيب فيما قبلنا بالاستسقاء فى المسجد الجامع يوم

---

(١) سورة الذاريات : آية ٥٨ •
(٢) سورة التوبة : آية ١٠٤ •
(٣) سورة الشورى : آية ٢٥ •
(٤) سورة الشورى : آية ٢٨ •

الجمعة والجمعة الثانية التى تليها ، ان أبطأت السقيا ، والبروز يوم الأثنين بعدهما ، بجاعة المسلمين عندنا الى مصلاهم ، أو يأتى الله قبل ذلك بغيثه المعى عنه ، ورحمته المنتظرة منه ، المرجوة عنده ، فمر الخطيب بموضعك أن يحتمل على مثـــل ذلك ويأخـــذ به من قبله من المسلمين ، وليحملهم ذلك المحمل ، ولتكن ضراعتهم الى الله تعالى ضراعة من قد اعترف بذنبـــه ورجا رحمة الله ، والله غفور رحيـــم ، وهو المستعان ، لا شريك له ، ان شاء الله » .

ملحق (١)

بيـــان بالقحط والمجاعات التى تعرضت لها بلاد الاندلس

م	اسم القحط او المجاعة	العام
١	سنى برباط	من ١٣١هـ/٧٤٨م الى ١٣٦هـ/٧٥٣م
٢	قحط فى عهد الامير عبد الرحمن بن الحكم	٢٠٧هـ/ ٨٢٢م
٣	مجاعة ستين	٢٦٠هـ/ ٨٧٤م
٤	قحط فى عهد الامير المنذر بن محمد	٢٧٤هـ/ ٨٨٧م
٥	« سنة لم اظن »	٢٨٥هـ/ ٨٩٨م
٦	سنة « جوع جيان »	٢٩٧هـ/ ٩٠٩م
٧	محل فى عهد الخليفة الناصر	٣٠٢هـ/ ٩١٤م
٨	محل ثان فى عهد الخليفة الناصر	٣١٤هـ / ٩٢٦م
٩	محل ثالث فى عهد الخليفة الناصر	٣١٧هـ/٩٢٩م
١٠	محل رابع فى عهد الخليفة الناصر	٣٣٣هـ / ٩٤٤م
١١	مجاعة عهد الحكم المستنصر	٣٥٣هـ / ٩٦٤م
١٢	محل فى عهد الخليفة هشام بن الحكم	٣٧٨هـ / ٩٨٨م
١٣	مجاعة قرطبة	٥٢٦هـ/١١٣١م
١٤	مجاعة فى عهد الموحدين	٥٦٥هـ/١١٦٩م
١٥	محل « عام وقيل »	٦١٤هـ/١٢١٧م

ملحق (٢)

بيـــان بالسيول والفيضانات التى تعرضت لها بلاد الأندلس

م	اسم السيل أو الفيضان	العام
١	— سيل فى عهد الامير عبد الرحمن الداخل	١٦١هـ / ٧٧٧م
٢	— سيل ثان فى قرطبة	١٨٢هـ / ٨٩٨م
٣	— سيل فى اشبيلية وفيضان نهر تاجه	٢٣٥هـ/٨٤٩م
٤	— سيل وفيضان بنهر قرطبة	٢٨٨هـ/٩٠١م
٥	— سيل عنيف فى قرطبة	٢٩٦هـ/٩٠٨م
٦	— سيل لنهر قرطبة	٣٣١هـ / ٩٤٢م
٧	— مد نهر قرطبة	٣٥٣هـ / ٩٦٢م
٨	— سيول فى قرطبة	٣٦٣هـ / ٩٧٤م
٩	— سيول فى قرطبة وفيضان نهر الوادى الكبير	٣٦٤هـ / ٩٧٥م
١٠	— سيول فى قرطبة	٣٨٢هـ / ٩٩٢م
١١	— سيول فى قرطبة ومد النهر	٣٣٩هـ/١٠٠٨م
١٢	— فيضان لنهر قرطبة	٤٠١هـ/١٠١٠م
١٣	— سيل فى قرطبة فى عهد دولة بنى جهور	٤٣٩هـ/١٠٤٧م
١٤	— سيل فى مدينة بلنسية	٤٨١هـ/١٠٨٨م
١٥	— سيل فى مدينة اشبيلية	٥٦٤هـ/١١٦٨م
١٦	— سيل فى اشبيلية وطريانة	٥٧٤هـ/١١٧٨م
١٧	— سيل فى قرطبة ومدن الوادى الكبير	٥٩٧هـ/١٢٠٠م
١٨	— سيول فى شرق الأندلس فى عصر بنى نصر	

ملحق (٣)

بيان بالزلازل التى تعرضت لها بلاد الاندلس

م	اسم الزلزال	العام
١	ـــ زلزال شديد لكل بلاد الاندلس	٢٦٧هـ / ٨٨٠م
٢	ـــ زلزال فى قرطبة	٣٣٢هـ / ٩٤٣م
٣	ـــ هزتان ارضيتان فى قرطبة	٣٣٤هـ / ٩٤٥م
٤	ـــ زلزال عظيم بالاندلس	٤١٥هـ/١٠٢٤م
٥	ـــ زلزال فى مدينتى أوريوله ومرسية	٤٤٠هـ/١٠٤٨م
٦	ـــ زلزال فى اشبيلية	٤٧٢هـ/١٠٧٩م
٧	ـــ زلزال بقرطبة ومدنها	٥٦٥هـ/١١٧٠م

ملحـــق (٤)

بيـــان بالرياح والاعاصير التي تعرضت لها بلاد الأندلس

م	الرياح ومكانهـــا	العام
١	ريـاح ورعد وصواعق فى قرطبة	٢٦٧هـ / ٨٨٠م
٢	عواصف ثلجية فى مدينة تطيلة	٣٠٣هـ / ٩١٥م
٣	عاصفة على قرطبة	٣٣٢هـ / ٩٤٤م
٤	رياح شديدة فى قرطبة	٣٣٣هـ / ٩٤٥م
٥	ريح عاصفة وصاعقة على قرطبة	٣٤٠هـ / ٩٥١م
٦	رياح شديدة وانواء وجليد أسود	٣٦٢هـ / ٩٧٣م
٧	رياح عاتية على قرطبة	٣٦٣هـ / ٩٧٤م
٨	رياح فى سمورة عاصمة جليقية	٣٩٥هـ/١٠٠٤م
٩	رياح فى الشمال ورعد وبرق	٣٩٦هـ/١٠٠٥م
١٠	رياح فى مدينة وبذة	٥٦٧هـ/١١٧١م
١١	ثلوج وبرد فى جبل شلير وطرقات البشارات (غرناطة)	أواخر عصر دولة بنى الأحمر

ملحق (٥)

بيــان بالجراد الذى أصـــاب بلاد الأندلس

م	الجراد ومكانه	العام
١	انتشار الجراد ومجاعة	٢٠٧هـ / ٨٢٢م
٢	هجوم الجراد على الارض الزراعية	٢٣٢هـ / ٨٤٦م
٣	جراد بقرطبة	٣٨١هـ / ٩٩١م
٤	هجوم للجراد على كل البلاد	٥٢٦هـ/١١٣٢م
٥	هجوم للجراد على الاراضى الزراعية	٥٣٠هـ/١١٣٥م

ملحق (٦)

بيـــان بالأوبئة التى حلت ببلاد الأندلس

م	الوباء ومكانه	العام
١	أوبئة بعد سنى برباط	١٣١هـ / ٧٤٨م
٢	وباء بعد القحط العام	١٨٥هـ / ٨٩٨م
٣	وباء عظيم بالبلاد	٣٠٣هـ / ٩١٦م
٤	وباء انتشر الى بلاد العدوة المغربية	٣٣٤هـ / ٩٤٥م
٥	وباء بقرطبة	٤٠٠هـ/١٠٠٩م
٦	طاعون فى عصر المرابطين فى قرطبة	٥٢٦هـ/١١٣١هـ
٧	وباء شديد فى عصر الموحدين	٦١٠هـ/١٢١٣هـ
٨	وباء مفرط فى خلافة الرشيد الموحدى	٦٣٥هـ/١٢٣٧هـ
٩	علة البقر	فى القرن الخامس الهجرى/الحادى عشر الميلادى (دون تحديد العام)
١٠	الوباء الأسود (أو المرض الأسود)	٧٤٩هـ / ١٣٤٨م

مصـــادر ومراجع البحث

(أ) المصـــادر العربيـــة :

١ ـ ابن الأبار : محمد بن عبدالله بن أبى بكر القضاعى البلنسى (ت ٦٥٨/١٢٦٠)

ـ الحلة السيراء . تحقيق د. حسين مؤنس . الطبعـــة الثانية . القاهرة ١٩٥٨ .

٢ ـ ابن الأثير : أبو الحسن على بن محمد الجزرى (ت ٦٣٠هـ/١٢٣٢م)

ـ الكامل فى التاريخ . طبعة دار صادر . بيروت .

٣ ـ الأدريسى : أبو عبدالله محمد الشريف السبتى (ت حوالى ٥٤٨هـ/ ١١٥٤م)

ـ نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق . تحقيق مجموعة من العلماء . نشر مكتبة الثقافة الدينية . القاهرة . بدون تاريخ.

٤ ـ ابن بشكوال : أبو القاسم خلف بن عبد الملك (ت ٥٧٨هـ/١١٨٢م)

ـ كتـــاب الصلة . الدار المصرية للتأليف والترجمـــة . القاهرة ١٩٦٦ .

٥ ـ البكرى : أبو عبيـــد عبدالله بن عبـــد العزيز المرسى (ت ٤٨٧هـ/ ١٠٩٤م)

ـ المغرب فى ذكر بلاد افريقية والمغرب ـ نشر البارون دى سلان الجزائر ١٩١١ .

ـ جغرافية الأندلس وأروبا . تحقيق د. عبد الرحمن حجـــى . بيروت ١٩٦٨ .

٦ — ابن حيان : أبو مروان حيان بن خلف بن حيان القرطبى (ت ٤٦٩هـ/ ١٠٧٦م)

— المقتبس فى أخبـــار بلاد الأندلس • قطعة تتنـــاول الفترة من ٢٣٢هـ/٨٤٦م حتى ٢٦٧هـ/٨٨٠م • نشر وتحقيـــق د• محمود على مكى • بيروت ١٩٧٣ — قطعة ثانية تتناول فترة الأمير عبدالله بن محمـــد (٢٧٥ — ٣٠٠هـ/٨٨٨ — ٩١٢م) نشر وتحقيـــق د• اسماعيل العربى • الدار البيضاء ١٩٩٠م — قطعة ثالثة تتناول الثلاثين عاما الأولى من حكم الخليفة الأموى عبد الرحمن الناصر• نشرها بدور شالميتا وفدريكو كورينطى ومحمود صبح • مدريد ١٩٧٩ — قطعة رابعة تتناول قسما من عصر الحكم المستنصر • نشرها د• عبد الرحمن حجى • بيروت ١٩٦٥ •

٧ — الحميرى : عبد المنعم السبتى (ت أواخر القرن التاسع الهجرى ١٥م)

— الروض المعطار فى خبر الأقطار • تحقيق د• احسان عبـــاس • بيروت ١٩٧٥ •

٨ — الخشنى : أبـــو عبدالله محمـــد بن حارث بن أســـد القيروانى (ت ٣٦١هـ/٩٧١م)

— قضاة قرطبة • القاهرة ١٩٦٦ •

٩ — ابن الخطيب : لسان الدين أبو عبدالله محمد (ت ٧٧٦هـ/١٣٧٤م)

— أعمال الاعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من قبل الاسلام • القسم الخاص بالأندلس • نشر ليفى بروفنســـال • بيروت ١٩٥٦ •

— نفاضة الجـــراب فى علالة الاغتراب • تحقيق د• أحمد مختار العبادى ، مراجعـــة د• عبد العزيز الأهوانى • القاهرة ١٩٦٧

— الاحاطة فى أخبار غرناطة • تحقيق محمد عبدالله عنان • الجزء

٢ القاهرة .
ـ مشاهدات لسان الدين بن الخطيب . مجموعة من رسائله . جمعها وحققها د. أحمد مختار العبادى . الاسكندرية ١٩٨٣ .

١٠ـ ابن الزبير : أبو جعفر أحمد (ت ٧٠٨هـ/١٣٠٨م)
ـ صلة الصلة . نشر ليفى بروفنسال ـ الرباط ١٩٣٨ .

١١ ـ ابن أبى زرع : أبو العباس أحمد (كان حيا ٧٢٦هـ/١٣٢٦م)
ـ الأنيس المطرب بروض القرطاس فى أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس . نشر كارلوس يوحنا تورنبرج . أوبسالا ١٨٤٣م .

١٢ـ الزهرى : أبو عبدالله محمد بن أبى بكر (ت أواسط القرن السادس الهجرى أواسط القرن ١٢م)
ـ كتاب الجغرافية . اعتنى بتحقيقه محمد حاج صادق . نشر مكتبة الثقافة الدينية . القاهرة . بدون تاريخ.

١٣ ـ ابن سعيد : أبو الحسن على بن مرسى (ت ٦٨٥هـ/١٢٨٦م)
ـ المغرب فى حلى المغرب . تحقيق د. شوقى ضيف . القاهرة ١٩٦٤ .

١٤ـ السلاوى : أبو الحسن أحمد بن خالد الناصرى (ت ١٣١٥هـ ـ ١٨٩٧م)
ـ الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى . الدار البيضاء ١٩٥٤ .

١٥ ـ ابن صاحب الصلاة : أبو مروان عبد الملك بن محمد بن أحمد بن ابراهيم الباجى (ت ٥٩٤هـ ـ ١١٩٨م) .
ـ تاريخ المن بالامامة على المستضعفين . نشر وتحقيق عبد الهادى التازى . بيروت ١٩٦٥ .

١٦ — ابن عبد الملك المراكشى : أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الملك الأنصـــارى الأوسى (ت ٧٠٣هـ — ١٣٠٣م)
— الذيل والتكملة لكتابى الموصول والصلة . السفر الخامس .القسم الثانى . تحقيق احسان عباس . بيروت ١٩٦٥ .

١٧— ابن عذارى: أبو العباس أحمد بن محمد (كان حيا ٧١٢هـ/١٣١٢م)
— البيان المغرب فى أخبـــار الأندلس والمغرب . الأجزاء الثـــلاثة الأولى تحقيق : ليفى بروفنسال ، ج.س. كولان . بيروت ١٩٨٠. الجزء الرابع ، تحقيق احسان عباس . بيروت ١٩٨٠ . القسم الخاص بعصر الموحدين وبداية عصر دولة بنى مرين ، تحقيق عبد القادر زمامة ومحمد الكتانى ومحمد بن تاويت ومحمد زنبير. الدار البيضاء ١٩٨٥ .

١٨ — العـــذرى : أحمـــد بن عمـــر بن أنس المعروف بابن الدلائى (ت ٤٧٨هـ/١٠٨٥م)
— نصوص عن الأندلس من كتاب « ترصيع الأخبار ، وتنويع الآثار والبستان فى غرائب البلدان والمسالك الى جميع الممالك . منشورات معهد الدراسات الاسلامية — مدريد ١٩٦٥ .

١٩ — عريب بن سعد : (ت ٣٧٠هـ/ ٩٨٠م)
— كتاب الأنواء أو تقويم قرطبة لعام ٩٦١م/٣٥٠هـ . نشر . العلامة رينهارت دوزى تحت عنوان :
Le Calendrier de Cordoue de L'année 961. Leyde 1873

٢٠ ــ ابن غالب : محمد بن أيوب الأندلسى
ــ فرحة الأنفس فى تاريخ الأندلس • قطعة نشرها الدكتور لطفى عبد البديع فى مجلة معهد المخطوطات العربية • المجلد الأول ، ج ٢ ، القاهرة ١٩٥٥ •
٢١ ــ ابن الفرضى : أبو الوليد بن محمد الأزدى (ت ٤٠٣هـ/١٠١٣م)
ــ تاريخ علماء الأندلس • نشر كوديرا وريبيرا • مدريد •
٢٢ــ ابن القطان : أبو الحسن على بن محمد الكتامى (ت ٦٢٨هـ/ ١٢٣٠م)
ــ نظم الجمان فى أخبار الزمان ، نشر وتحقيق د• محمود على مكى ، الرباط ١٩٦٤ •
٢٣ــ ابن القوطية : ابو بكر محمد بن عمر بن عبد العزيز بن مزاحم الأندلسى (ت ٣٦٧هـ/٩٧٧م)
ــ تاريخ افتتاح الأندلس• حققه ابراهيم الأبيارى• القاهرة ١٩٨٢•
٢٤ ــ ابن الكردبوس : أبو مروان عبد الملك التوزرى (عاش فى أواخر القرن السادس الهجرى/١٢م
ــ تاريخ الأندلس لابن الكردبوس ووصفه لابن الشباط • تحقيق د• أحمد مختار العبادى • مدريد ١٩٧١ •
٢٥ ــ المقرى : شهاب الدين أبو العباس أحمد بن محمد التلمسانى (ت ١٠٤١هـ/١٦٣١م)
ــ نفح الطيب من غصن أندلس الرطيب • تحقيق د• احسان عباس• بيروت ١٩٦٨ •

٢٦ — المقريزى : تقى الدين أحمد بن على (ت ٨٤٥هـ/١٤٤١م)
— اغاثة الأمة بكشف الغمة . تحقيق دكتور بدر الدين السباعى . حمص ١٩٥٦ .

٢٧ — مؤلف مجهول : أخبار مجموعة فى فتح الأندلس وذكر أمرائها . نشر لافويننتى الكنترا . مدريد ١٨٦٧م .

٢٨ — مؤلف مجهول : من رجال القرن الثامن الهجرى/١٤م
— الحلل الموشية فى ذكر الأخبار المراكشية . تحقيق د. سهيل زكار وعبد القادر زمامة . الدار البيضاء ١٩٧٩م .

٢٩ — مؤلف مجهول :
— نبذة العصر فى أخبار ملوك بنى نصر . تحقيق الفريد البستانى . العرائش ١٩٤٠ .

٣٠ — النباهى : أبو الحسن بن عبدالله بن الحسن المالقى (ت أواخر القرن الثامن الهجرى/١٤م)
— المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا . نشر ليفى بروفنسال. دار الآفاق الجديدة . بيروت ١٩٨٣ .

ثانيا : المراجع العربية الحديثة

١ — بروفنسال (ليفى)
— الاسلام فى المغرب والأندلس . ترجمة د. السيد عبد العزيز سالم ومحمد صلاح حلمى ، دار نهضة مصر للطبع والنشر . القاهرة.

٢ ــ زيان (دكتور حامد)

ــ الأزمات الاقتصادية والأوبئة فى مصر فى عصر سلاطين المماليك • القاهرة ١٩٧٦ •

٣ ــ سالم (دكتور السيد عبد العزيز)

ــ تاريخ المسلمين وآثارهم فى الأندلس (من الفتح العربى حتى سقوط الخلافة بقرطبة) • الاسكندرية •

ــ قرطبة حاضرة الخلافة فى الأندلس • نشر مؤسسة شباب الجامعة ــ الاسكندرية •

ــ تحقيق أسماء قصور بنى عباد باشبيلية الواردة فى شعر ابن زيدون • مجلة أوراق ، العدد الثانى ، مدريد ١٩٧٩ •

ــ أضواء على مشكلة تأريخ بناء سور اشبيلية فى العصر الاسلامى ، صحيفة معهد الدراسات الاسلامية ، مدريد ١٩٧٤• المجلد ١٨ •

٤ ــ الطوخى : (دكتور أحمد محمد)

ــ مصر والأندلس ، دراسة فى العلاقات السياسية والعلمية والاقتصادية والفنية • مركز الدلتا للطباعة ، الاسكندرية ، ١٩٨٨ •

٥ ــ العبادى (دكتور أحمد مختار)

ــ فى التاريخ العباسى والفاطمى • بيروت ١٩٧١ •

ــ دراسات فى تاريخ المغرب والأندلس • الاسكندرية ١٩٦٨ •

— فترة مضطربة فى تاريخ غرناطة كما يصفها شاهد عيان صحيفة معهد الدراسات الاسلامية • مدريد ، المجلد السابع ، ١٩٥٩ •

— فى التاريخ العباسى والأندلسى • بيروت ١٩٧١ •

— الصقالبة فى أسبانيا ، لمحة عن أصلهم ونشأتهم وعلاقتهم بحركة الشعوبية • صحيفة معهد الدراسات الاسلامية • مدريد ١٩٥٣ •

٦ — عنـــان (الاستاذ محمـــد عبـــدالله)

— نهاية الأندلس وتاريخ العرب المتنصرين • القاهرة ١٩٤٩ •

٧ — ماجد (دكتور عبد المنعم)

— ظهور خلافة الفاطميين وسقوطها فى مصر • التاريخ السياسى • دار المعارف • القاهرة ١٩٦٨ •

٨ — أبو مصطفى (دكتور كمال)

— مصادر الثروة الاقتصادية فى الأندلس فى عصر دولتى المرابطين والموحدين• رسالة دكتوراه غير منشورة مقدمة لكلية الآداب جامعة الاسكندرية • عام ١٩٨٥ •

٩ — مكى (دكتور محمـــود على)

— وثائق تاريخية جديدة عن عصر المرابطين • صحيفة معهد الدراسات الاسلامية • مدريد العدد ٧ — ٨ ، عام ١٩٥٩ •

١٠— موسى (دكتور عز الدين حمد)

— النشاط الاقتصادى فى المغرب الاسلامى خلال القـــرن السادس الهجرى • القاهرة ١٩٨٣م •

ثالثا : المراجــع الاجنبية

1. **Balbas: (Leopoldo Torres)**

   — Ciudades Hispano - Musulmanas, Libro publicado Con La colabraciòn de : Henri Terrasse. Madrid. 2 Tomos.

   — Via Agusta y el arrecife musulmon, Revista Al-Andalus Vol. XXIV. 1959;

   — Musalla y Saria en las Ciudades Hispanomusulmanas, Rev. Al-Andalus, XIII, 1948.

2. **Imamuddin (S.M;):**

   — Some aspects of the Socio-economic and Culture history of muslim in Spain, Leiden, 1965.

3. **Levi Provencal (E) :**

   Inscriptions arabes d'Espagne, Leyde — paris, 1931.

دار نشر الثقـافة بالاسكندرية

رقم الايداع بدار الكتب
١٩٩٢/٤٣١٣
رقم الايداع الدولى I.S.B.N
977-10-5838-3